موسوعة القرى الفلسطينية

قسم دراسات القرى

بلدة طرعان

قضاء الناصرة

إعداد:

الباحث والمؤرخ والتربوي

مروان الماضي

2026

موسوعة القرى الفلسطينية
Encyclopedia of Palestinian villages

بلدة طرعان

بلدة طرعان قضاء الناصرة

للباحث والمؤرخ

مروان الماضي

تدقيق لغوي: علاء الدين النمر

تصميم الغلاف: محمد الدلو

تنسيق وتنضيد: أريج عودة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

إهداء 8

تقديم 9

مقدمة 11

الفصل الأول لمحة جغرافية..... 12

الموقع والحدود 12

التسمية 12

المناخ..... 13

السكان 13

أسماء عائلات طرعان 14

الفصل الثاني لمحة تاريخية 20

طرعان في العهد العثماني 22

معالم طرعان 25

الفصل الثالث الحياة الاقتصادية 27

الزراعة في طرعان..... 27

العمالة وأثرها على المزارع الفلسطيني عام 1948 33

الصناعة في بلدة طرعان 33

الفصل الرابع التعليم وأعلام بلدة طرعان 37

التعليم زمن الانتداب البريطاني على فلسطين..... 38

شخصيات بارزة من بلدة طرعان 40

الفصل الخامس الحياة الاجتماعية في طرعان 41

الغناء أنواعه ومعانيه..... 41

الرقص الشعبي في طرعان 47

الزواج والعادات المرتبطة به 48
الفصل السادس المنازل وحياة السكان 62
الفصل السابع مجازر الصهيونية في شعب فلسطين 68
الفصل الثامن سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة إسرائيل 74
الفصل التاسع أدب المقاومة السلمية 81
التمثيل والمسرح 81
الفصل العاشر انتفاضات شعب فلسطين 90
الانتفاضة الأولى: انتفاضة الحجارة (1987) 91
الانتفاضة الثانية: انتفاضة الأقصى(2000) 92
الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى 93

إهداء

إلى أجيال فلسطين والعرب أجمعين، نذكرهم بأهمية فلسطين.

فلسطين، هذا الاسم العذب الذي تنطق به كل شفة ويتردد على كل لسان، تطرب لسماعه الآذان وتتكحل به الجفون والعيون، تهفو له القلوب وتترنم بهوائه المشاعر. والقلوب تبكي لفراقه، وعيون المهاجرين تتفطر لاحتلاله، هم الباقون والمبعدون من أصحابه، عرب فلسطين.

لم تمض ثانية أو دقيقة خلال قرن من الزمان (من وعد بلفور عام 1917 حتى عامنا هذا 2017) إلا ويذكر اسم فلسطين فيه. أجواء الكون تحمله، وموجات الأثير المسموعة منها والمرئية والمقروءة تنقله، حتى باتت فلسطين تملأ الدنيا وتشغل الناس.

لماذا كانت لفلسطين هذه الأهمية لأصحابها وللعرب والعالم أجمعين؟

- موقعها الذي يصل قارات العالم القديم (آسيا، أوروبا، إفريقيا).
- إنها صلة الوصل بين جناحي العرب في آسيا والجناح العربي الإفريقي.
- تتميز تضاريسها بساحل طوله 240 كم يطل على البحر الأبيض المتوسط، وهو البوابة الواسعة للجزيرة العربية والعراق والأردن وجنوب سورية على البحر المتوسط.
- فيها السهول الخصبة والهضاب المكسوة بالخضرة من نباتات وأشجار برية وزراعات من حبوب وبقول وأشجار مثمرة من كل الأنواع: كروم، زيتون، تين، لوزيات، وحمضيات. إنها أرض السمن والعسل.
- فيها قمم الجبال المكسوة بالثلوج في "الجرمق" و"كنعان" بصفد، وفيها أخفض نقطة في العالم في البحر الميت، والتي تنخفض 435 متراً تحت سطح البحر.
- هي مهبط الأديان السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلام).
- تمازجت فيها الحضارات القديمة: مصرية، كنعانية، بابلية، آشورية، كلدانية، آمورية، يونانية، رومانية، فارسية وغيرهم.
- عبرتها الجيوش الجرارة وجرت فيها المعارك الفاصلة مثل معركتي عين جالوت وحطين.
- التقت فيها البضائع والسلع: الكتان والسكر والقطن المصري مع التوابل الهندية، والبن والصمغ اليمني، والتمور العراقية، والبروكار الحريري الدمشقي، والسجاد الفارسي، والزجاج الخليلي، والأصبغة الفينيقية.

تقديم

عندما يذكر اسم مروان الماضي، يشعر المرء أنه أمام شخصية مميزة استثنائية من حيث الثقافة الواسعة، والخبرة الحياتية الغزيرة بالمعلومات، وامتلاك أدوات البحث، والنزعة الإنسانية التي تحكمها قيم الحرية والعدالة والمساواة. لهذا كله، تعددت اهتماماته: فهو الأديب، الكاتب، المؤلف، المثقف، الملتزم، المعلم، والتربوي الكبير... إلخ.

كلها اهتمامات تصب في بوتقة واحدة: بوتقة محبة الوطن فلسطين. ففي كل حركة وفعل تبدو فلسطين النازفة ماثلة أمام عينيه، تستحوذ على فكره وعقله وإحساسه. ويدرك الأستاذ مروان أن الوطن فلسطين قد تعرض لأبشع صور الاستعمار الاستيطاني ذي الأيديولوجية الخاصة، وهذا فرض ممارسات استعمارية مثل إزالة القرى من الوجود، ومحو الأسماء، وطمس المعالم، وسرقة الآثار، وتشويه التاريخ، وتزييف الوثائق، ونفي الهوية الوطنية، وإفناء الوجود المادي لأبناء فلسطين. فأصبح الصراع صراع وجود.

وتؤدي هذه الممارسات إلى احتلال الذاكرة. ويدرك الأستاذ مروان الماضي أن احتلال الذاكرة أخطر من احتلال الأرض، على اعتبار أن فقدان الذاكرة هو فقدان الشخصية الفلسطينية: ماضيها، حاضرها، ومن ثم مستقبلها. ولهذا اختار نسقاً خاصاً في الكتابة يتمثل في كتابة التاريخ الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي للقرى والمدن الفلسطينية. وهو نسق خاص في التأليف يعتمد على التوثيق والدقة وإجلاء الوثائق، ويهدف إلى شحذ الذاكرة الوطنية الفلسطينية وجعلها حية متوهجة وفاعلة على الدوام. ولهذا، فإن كتاباته تندرج في إطار مواجهة ومجابهة الممارسات الصهيونية، أي تندرج في إطار أدب المقاومة إذا استخدمنا كلمة "أدب" بالمعنى العام.

ويبدو أن شحذ الذاكرة، وهي مهمة وطنية ملحة في ظل محاولات التذويب والطمس والنفي، كلها فرضت كتابة تتصف بالشمولية. فعندما يكتب عن مدينة أو بلدة مثلاً، نراه يبدأ من التسمية والموقع الجغرافي، ثم ينتقل إلى البعد التاريخي للغزوات والتضحيات، ثم النشاطات الاقتصادية مثل الزراعة وأدواتها، والحياة الثقافية وما تتطلبه من ذكر الأعلام والأدباء والمبدعين والمدارس والتعليم، وللمؤسسات والمراكز الثقافية دورها في إحياء التراث، إلى الفولكلور وغناء ودبكات، إلى مقاومة الظلم وإبراز التضحيات في سبيل الوطن. وكل هذه المحاور ترصع بالصور والخرائط والبيانات الأخرى. ويسعى هذا الجهد التوثيقي العلمي إلى:

- تأكيد الحق للفلسطينيين عبر التاريخ.

- تأكيد خصوصية الشخصية الوطنية.
- الحفاظ على كل شيء (إحياء اللهجة والعادات وكل ما يؤكد ملامح الشخصية الوطنية وقسماتها).

ولا أريد هنا أن ألخص للقارئ ما كتبه المؤلف، لأني حريص على أن يقرأ القارئ ما كتبه المؤلف حتى يشعر بحرارة الإخلاص، والحس الوطني الصادق، والتماهي مع المكان وناسه وتاريخه، وأن يمنح العلم والمعرفة أهمية بارزة وبإيمان يقيني بحق العودة وتحرير فلسطين ووحدة العرب.

د. شكري عزيز الماضي

مقدمة

لقد جاء اختيار الصهاينة عزل أنفسهم عن المجتمع العربي الفلسطيني منذ دخولهم أرض فلسطين. واستخدموا كل الأساليب العنصرية في بناء مجتمعهم الخاص، فأقاموا المستعمرات المغلقة، وبشكل خاص المزارع الجماعية (كيبوتز وموساف). واستطاعوا بناء 50 مستعمرة حتى عام 1935م، واستمروا في تحويل الأراضي فيها لمصلحتهم، ثم أخذ عددها ينمو ويتطور. وكانت هذه المستعمرات هي التشكيل الأساسي لتنظيم زراعي اجتماعي عسكري، ليصبح وسيلة فاعلة من وسائل التحدي للمقاومة العربية، وتكوين مجتمع قادر على حماية نفسه في ظل الخوف الذي جلبه لنفسه من المقاومة العربية. وقد أدى هذا الموقف الانطوائي إلى توسيع الهوة والمسافة الاجتماعية، وزيادة العداء بينهم وبين سلطة الاحتلال والعرب، وترسيخ الكراهية والحقد بين أصحاب أرض فلسطين والغزاة الأغراب الذين جاؤوا ليجعلوا صاحب الأرض غريباً في أرضه.

إن المجتمع الغربي الأوروبي الأمريكي ثم الروسي، الذين اشتركوا في زرع إسرائيل وسط بحر من العرب، الذين يحاربون الوحدة ويرضون الخنوع حتى للبغاث الذي جعلوه نسراً في بلادنا، وحولوا ديارنا نهباً للطامعين حتى باتت جيوشنا تدمر بيوتنا عوضاً عن حماية الوطن، وليس على عدو افتراضي. هل هذا الحماس الأمريكي في مساعدة إسرائيل ومناصرتها ظالمة كانت أو مظلومة، رغم تحديها للمجتمع الدولي حتى أصبحت عبئاً على حلفائها؟ هل وقوف الغرب الاستعماري وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية في خدمة إسرائيل، هل هذا الحماس هو حباً باليهود أم كرهاً بالعرب؟ والجواب عندي هو أن زعماء الصهاينة المفسدين في الأرض إفساداً سرمدياً سيكون سلوكهم مدمراً لهم بعد أن وصلوا في ذروة من الأمل في قوتهم وتباهيهم بما حققوه من طموحات. وإذا لم يعترفوا بظلمهم للعرب، فإن الميزان ليس مستقراً في العالم وسيكون دمارهم على يد من صنعهم، وسيعودون قردة خاسئين إن لم يؤمنوا بالسلام بإقامة دولة علمانية منفتحة تعي السلام مع إخوانهم العرب أمة للمتقين.

المؤلف

الفصل الأول

لمحة جغرافية

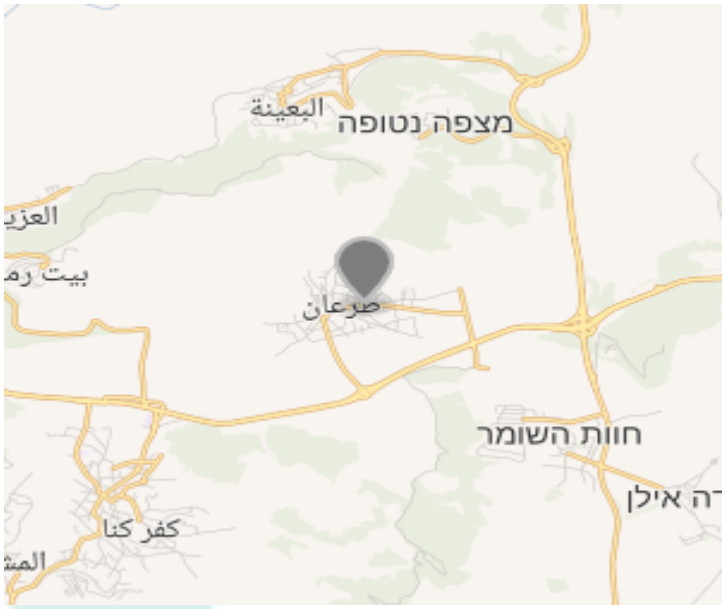

الموقع والحدود

تقع بلدة طرعان في جبال الجليل الأدنى في منتصف طريق طبريا – الناصرة. تقع على جبل طرعان ووادي طرعان وتبعد عن الطريق الرئيسي بمسافة 15كم، وهي قريبة من الطريق الواصل بين حيفا وطبريا وعلى بعد 7كم شمال مدينة الناصرة.

التسمية

هناك روايات عديدة لمصدر اسم القرية طرعان؛ ويعتقد أن الاسم محرّف من كلمتين هما «طُورعانه»، حيث "الطور" تعني جبل، و"عانه" تعني قطيع الإناث من الماعز أو الغنم أو الماشية. بشكل عام تعني "جبل الأغنام" نظراً لخصب مراعيها الجبليَّة. تتميز تضاريس المنطقة بكونها مموجة بالمرتفعات والمنخفضات من تلالاً وجبالاً مكسوةً بالخضار، وأراضيها كلسية تمتص ماء المطر فيدخل الماء في جوف الصخور، وتبدأ عملية الحت الفيزيائي وتتشكل تجاويف تمتلئ بالماء وتخرج على السطح على حواف الأودية، لذلك استخدم أهالي طرعان أراضيهم البالغة مساحتها (29,743) دونماً منها (909) دونماً للحبوب و(1,153) دونماً للري.

المناخ

يتصف مناخ المنطقة بمناخ البحر الأبيض المتوسط الجاذب للسكن منذ أقدم العصور. تقع بلدة طرعان ضمن مناخ البحر الأبيض المتوسط، بصيف حار وشتاء بارد نسبياً، وهواء البحر القادم من الغرب يلطف من حرارة الصيف كما يخفف برودة الشتاء. وبشكل عام، بالنسبة للحرارة فهي معتدلة، وتختلف الحرارة بين الساحل الغربي والداخل الشرقي، كما تختلف الحرارة بين المناطق المرتفعة والمناطق المنخفضة، مثل مناطق الغور. أما الأمطار في بلدة طرعان فهي تهطل في فصل الشتاء بمعدل 600 مم إلى 650مم سنوياً، وهذا شيء مفيد، يجذب البشر لوجود الحجر والتربة والماء إلى جانب المراعي والأحراج. وقد منّ الله على هذه البلدة موقعاً تمر منه المواصلات منذ القدم، إذ تربط الطرق الساحلية القادمة من مصر والبحر إلى الداخل نحو العراق والأردن ثم الجزيرة العربية.

السكان

تطور عدد سكان طرعان كالتالي:

السنة	عدد السكان	المسلمون	المسيحيون
1922	768 نسمة	542 نسمة	226 نسمة
1931	960 نسمة	693 نسمة	238 نسمة
1945	1350 نسمة	1010 نسمة	340 نسمة
2014	14032 نسمة	غير متوفر	غير متوفر

سكان القرية ينتمون إلى 63 عائلة مختلفة، منها 16 عائلة مسيحية والباقي عائلات مسلمة. وقد بلغ عدد سكان القرية وفق الإحصاء الرسمي الأول الذي عُقد سنة 1931م 961 نسمة، من ضمنهم 693 مسلماً و268 مسيحياً.

أما اليوم، وبالتحديد في شهر نيسان الحالي 2014م، فبلغ عدد السكان 13060 نسمة.

أسماء عائلات طرعان

وترتيب العائلات كالتالي:عدوي، دحلة، نصار، خوري، سلامة، صباح، زرعيني، غبن، خير الله، أبو ذيبة، رحال، أبو رحال، خليل، فراج، عبيد، أبو صفية، محمد، حداد، أبو شقارة، وغيرها.

وتضم البلدة مواقع ومقامات مثل مقام الشيخ "شيحة" جمال الدين – خربة المهداوي – خربة دير عشاير – خربة كفر سبفي في الجزء الشمالي الغربي – مقام لرجال صالحين مثل: الشيخ غانم بن سعد الدين أبو شعر – الحاج علي، وله بالمساهيل – الولي الصالح، وله بالمساهيل.

منطقة الرأس: وهو عبارة عن تل صناعي ذكر في النقوش المصرية القديمة.

يوجد العديد من الكهوف كما توجد بئر قديم تسمى بئر السوق.

لقد وهب الله تعالى طرعان الأرض والموقع والمناخ والطقس المناسب للسكن والخضرة الدائمة والماء الوفير من أمطار وينابيع، وخلق فيها النبات والحيوان. وفي هذا السياق أكتب عن أهم النباتات الطبيعية والطبية إلى جانب الحيوانات المتوحشة منها والمدجنة.

النباتات الطبيعية (المتوسطية):إن منها السريس والسنديان، ويمكن إيجاز أهم النباتات الموجودة في بلدة طرعان: البلوط الذي يشكل تجمعات شجيرية واضحة كما ينتشر بشكل واسع في جميع المرتفعات المحيطة بالبلدة، تتبعها أشجار الخرنوب والسعتر والنتش والزوفا والميرمية والشومر، كما يتواجد العليق والسرو في أماكن عدة. وإليك عزيزي القارئ خواص النباتات التالية وفوائدها:

الدفلة: وهي شجرة دائمة الخضرة توجد في مجاري الأودية والأماكن الرطبة، إذ تعتبر شديدة السمية للإنسان والحيوان وتؤدي تناول بذورها إلى الغثيان وانخفاض النبض، وتدخل مستحضراتها في المقويات القلبية.

العَرْعَر: من فصيلة سروية، يستخدم في الطب، وتجمع ثماره في الخريف عندما تصل مرحلة النضج، فتجفف في الظل وتُهَوَّى وتدخل في تركيب الأنواع المدرة للبول وتفيد كمقشعة للالتهابات التنفسية وفاتحة للشهية.

الطيون: نبات ذو ساق وأوراق عريضة لزجة لها رائحة غير محببة تستخدم في إزالة شوك ثمار الصبار عند قطفها، ويستعمل كمادة مضادة للجراثيم وله خواص مضادة للديدان الحلقية كما يدخل تركيبها في ترطيب الجلد الجاف عند استخدام البخار المنطلق من الطيون.

الزنزلخت: وهو شجر بري ويُزرع في البيوت والشوارع أحياناً، ويكثر في المزارع، ويستعمل قشره كطارد للديدان، والمواد المستخرجة منه خافضة للحرارة، ومنقوع ثماره المغلية يستعمل لأمراض الجذام، ويعتبر الزيت الناجم عن البذور مقوياً للشعر كما يستخدم في أمراض الجلد.

الكينا: شجر معمر أوراقه مغزلية وجذوره قوية تمتد إلى مسافات طويلة، وقد تؤثر في أساسات الأبنية. تكثر في السهل الساحلي وحول الطرق العامة، وأوراقه غنية بزيت الأوكالبتوس القاتل للجراثيم، ويدخل في تركيب عدد من المراهم المستعملة لتطهير مجاري التنفس والرشوحات ومرض الملاريا.

البابونج: نبات عشبي حولي، تجمع النورات في فترة الإزهار الكامل ثم تجفف بالظل ضمن تهوية جيدة، وتستعمل ضد الالتهابات وهي مطهرة، وتدخل في معالجة الجهاز الهضمي والتهاب الأمعاء والقصبات والسعال والربو.

الشومر: وهو من الفصيلة النجمية (اليانسون)، يستعمل كمسكن للأمعاء، وهو طارد للريح ومحسن لطعم كثير من الأدوية، وتستعمل الثمار والزيت المستخرج منه في الصناعات المغذية.

الحنظل: من الفصيلة القرعية، نبات عشبي معمر، تبدي ثماره فعالية مسهلة شديدة الفعالية، ومسحوق البذور وخلاصتها تصلح كمواد مضادة للطفيليات.

السعتر: نبات معمر ينتشر بشكل واسع على المرتفعات المحيطة بالبلدة ويحوي على زيت طيار، تستخدم أوراقه في الطعام مع الزيت، كما أن الزيت المستخرج من أوراقه يستعمل لعلاج العصابات والروماتزم، وإن مغلي هذا النبات يستخدم في الغرغرة في التهاب اللثة ومخاطية الأنف والتهاب الرئة وقرحة المعدة والاثني عشرية وكطارد للديدان الخيطية ومضاد للسعال. عندما يكثر هذا النبات في المنطقة ويرافقه السعتر له رائحة عطرة، وتستعمل أوراقه كمادة قابضة ومضادة للالتهابات وبشكل خاص للحلق واللوزات والأغشية المخاطية، تؤخذ بشكل منقوع في التهاب الرئتين والأمعاء والكبد والصفراء، ويستعمل المنقوع أيضاً لغسل الرأس في حالات تساقط الشعر.

الهندباء والخبيزة: وهما من النباتات الحولية، تكثر في البراري وأطراف الأودية، وتُقطف أوراقها وتطبخ على أشكال مختلفة، وهي غذاء أساسي للناس في موسمها، كما أن الهندباء تغلى ويدخل منقوعها في معالجة الرمل وتطهير الجراثيم، وكذلك بالنسبة للسعتر.

الخلة: وهو نبات عشبي حولي، وساقه عارية مستقيمة أسطوانية الشكل، ويستعمل بشكل مرهم لمعالجة رضات الجلد إلى جانب التهاب الكلى والمجاري البولية لأنها توسع الأوردة، كما يستخدم عيدانه في تنظيف الأسنان.

شجر الخرنوب: يكثر شجر الخرنوب في منطقة الهضاب الوسطى بفلسطين وبشكل خاص على سفوح المرتفعات، وقد اعتاد الناس في القرية جمع كميات من ثمار الخروب ويحفظونها في أماكن خاصة حتى تجف ثم يكسرون القرون بالمدقات ويضعونها في أوعية واسعة ضخمة تسمى (الدست)، ويغمر الخليط

بالماء يوماً كاملاً حتى يذوب السكر ويصبح الماء حلوًا ثم يفرك الخليط ويُطرح خارج الوعاء ويُجفف الخليط ويستخدم وقوداً للطوابين، ويستفاد منه لغذاء الحيوانات بمزجه مع مواد أخرى، أما الماء في الدست فيغلى حتى يصير لزجاً، وتزداد حلاوته ويتحول لونه إلى الحمرة ثم إلى اللون الأسود ويُدعى دبس الخروب أو (الرب). ويعتاد أهل القرى في فلسطين كلها تموين بيوتهم بخزن هذه المادة لتكون عوناً لهم في الطعام. وأحياناً يؤخذ السائل قبل غليه ويضاف إليه الثلج ويباع في الأسواق للمارة مثل شراب السوس. والملفت للنظر أن أوراق شجر الخرنوب الغضة تحوي على مواد قلوية بشكل قوي، فقد كان العمال الذين يقطفون ورق التبغ يستخدمون هذا الورق في تنظيف أيديهم التي التصق بها غراء ورق التبغ ولا تزول بالصابون العادي إلا بورق الخرنوب.

شجر الزيتون: ينتشر الزيتون بشكل واسع في منطقة الناصرة والجليل ومناطق واسعة من أرياف فلسطين الوسطى مثل نابلس ورام الله والقدس، وتُجمع ثمار الزيتون في أيلول حتى أواخر تشرين الثاني، وكانت تستخدم الطرق القديمة التي تعتمد على ضرب أغصان الزيتون لتنزل الثمار بواسطة العصي الطويلة، ويُؤخذ ثمر الزيتون ويجمع في أوعية خاصة وينقل إلى المعاصر، وهناك معاصر قديمة مؤلفة من حوض دائري وعليه حجر كبير دائري، ويدير الدولاب حيوان، ويُعبأ الزيتون بعد هرسه في قفف مصنوعة من سيقان نبات القصب على شكل دواليب، وتوضع القفف بعضها فوق بعض تحت لولب (مكبس) وزنه أكثر من طنين، فيضغط اللولب على القفف فيسيل الزيت إلى مستودع في الأسفل (بئر) وتسمى (البدود)، ولا تختلف المعاصر الحديثة عن المعاصر القديمة إلا أنها تدار آلياً عن طريق المحركات التي تعمل بالوقود (السولار أو الكاز) ثم تُجمع في براميل. وقد جرت العادة عند الفلاحين بتخزين الزيت كل عام بأواني فخارية كبيرة الحجم تدعى (الزلعة) أو في جرار، وأغلبها يطلى بطبقة من البورسلان.

الصبار: يشكل الصبار حزاماً يلف بعض الحواكير (قطع من الأراضي)، ويعطي هذا النبات ثمراً لذيذ الطعم حلو المذاق، ويُلتقط بواسطة الأيدي، واعتاد الناس التقاط الثمار بواسطة كلابات والأقماع المعدنية المثبتة على عصا طويلة، ويستطيع أي إنسان جمع ما يريد من ثمار الصبار دون حسيب أو رقيب، وتعتبر أحزمة الصبار لحدود الكروم سياجاً تحمي مزروعاتهم من تطفل الحيوانات والرعي، كما تعتبر عصارة ألواح الصبار مادة قلوية مفيدة لالتئام الجروح.

الحمضيات: ويشمل هذا النوع من الشجر على عدد كبير من النباتات (الليمون – البرتقال – اليوسفي – المندلينا – والكريب فوت).

وتجود زراعة أشجار الحمضيات في سفوح الهضاب والسهول ومنخفضاتها، وتتزين أراضي طرعان، وبشكل خاص في فصل الربيع، ببساط أخضر بنباتات متعددة ومتنوعة مثل النرجس وشقائق النعمان، بينما تنطلق

روائح الأزهار وتملأ الجو بروائح زكية عطرة تنعش القلوب وتثلج الصدور، بينما تنقل الرياح هذه الروائح إلى مسافات بعيدة، وعلى حواف الوديان تنمو أشجار الدفلى وهي تلبس أزهاراً ملونة بالصفار رائحتها فواحة عطرة وردية ملوحة بالأبيض، تصدر روائح عطرة تجذب النحل من أماكن بعيدة ليتغذى برحيقها الفواح.

الطيور والحيوانات البرية: إن طبيعة أراضي طرعان من أراضي ومناخ وتضاريس هيأت بيئة صالحة لوجود أنواع كثيرة من الطيور والحيوانات البرية، وقد استطاع العلماء توثيق الكثير من هذه الحيوانات التي كانت تعد بالمئات، وقد انقرض أكثرها الآن، ومع ذلك فإن البعض منها لا يزال موجوداً بنسب متفاوتة، منها على سبيل المثال:**طيور الحجل والشنار:** ويعيش في المرتفعات بين الأحراش بين أشجار السريس والسنديان، وكانت هذه الطيور تجذب الصيادين، وكان بعض الصيادين يأخذ فراخها ويدجنها في البيوت ضمن أقفاص، ولحم هذه الطيور هو الأفضل بين الطيور.

الرقطي والقطا: يشبه الرقطي الحمام تماماً ويقال له ستيتية، لها ريش مرقط حول عنقها جميل المنظر حقاً، لها صوت عذب عندما تصدح باكراً، تبنى أعشاشها فوق أشجار الزيتون، وكان الصبيان يأخذون فراخها من أعشاشها لذبحها أو لتربيتها في الأقفاص، أما القطا فهو طير موسمي مهاجر يكثر في المناطق السهلية الرطبة، لحمه قاس، ومع ذلك يلاحقه الصيادون من مكان إلى آخر بغية قنصه.

الزرزور: من الطيور الموسمية المهاجرة تأتي في أوائل الربيع بأعداد كبيرة، وتعتبر من الطيور الشائعة مثل (البلابل والدوري والكُرْكِس والشُحَيْرِ والحنّين والآمِي والسنونو)...إلخ. ومن الطيور الجارحة (الصقور والبوم والغراب).

الحيوانات البرية والزواحف في طرعان

توجد حيوانات مثل هذه الحيوانات مثل (الضباع والثعالب والواوي والذئب وغيرها) بأعداد قليلة بسبب ملاحقتها وإبادتها عبر الزمن، حرمها الإنسان من الأمان وجار عليها. ومن الحيوانات الأرضية (الأفاعي والخلد والجربوع والقنافذ والخلد والسحالي والسلاحف والحرادين).

ومن الحيوانات البرية التي يؤكل لحمها كل من الغزلان والأرانب، وهي تعيش في بيئة صالحة في منطقة البراري. ومنها الحيوانات المدجنة، وكانت الكلاب ترافق الرعيان مع مواشيهم منذ القدم، كما كان عدد قليل من الصيادين قد دجّنوها وأصبحت الكلاب عوناً للرعيان وسلاحهم ضد الوحوش.

الماعز: إن بيئة المراعي في أراضي طرعان بسبب كثرة المراعي في السهل والجبل والشجيرات المبعثرة في الهضاب ومنحدرات الجبال، والماعز بحاجة ماسة إلى تسلق الشجيرات لأكل ما يطيب له، لذلك نرى أعداداً منها تسرح وتمرح في أراضي البلدة.

الأغنام: وتأتي الأغنام بعد ذلك وقد اختصت بعض الأسر بتربيتها، ويستفاد من حليب الأغنام والماعز في صناعة الأجبان والزبدة والسمن، وتدر على أصحابها المال الوفير، ولم أعثر على المعلومات التي تقدر عدد المواشي في طرعان سوى كتاب (الموجز الإحصائي للمدن والقرى العربية في إسرائيل) والذي يذكر فيه ما يلي: "يملك اهالي طرعان قليلاً من الأراضي الزراعية القليل بشكل خاص بزراعة الأشجار وخاصة الزيتون واللوزيات والرمان، وتسوَّق منتجاتها محلياً. وفي المساكن والتجارة، والذين يعملون في الزراعة يشكلون 12% من سكان البلدة، و15% موظفون، و20% يعملون مستقلين في قطاعات مختلفة، والباقي يعملون على مهن مختلفة".

الجمال: لعبت الجمال دوراً هاماً في حياة السكان في طرعان بسبب موقعها الهام، الطريق الذي يصل بالأغوار شرقاً، فكانت البلدة عقدة مواصلات دولية في الماضي والحاضر لذلك استغل البعض هذه الميزة فوظفوا الجمال في حمل البضائع والمواد منذ زمن بعيد، إذ حملت جمالهم المعدات الحربية والمؤن للمعسكرات إلى جانب الذخائر والجنود، هذا في الحروب، وأثناء السلم تحمل البضائع التجارية من مكان لآخر، وظلت المواصلات قائمة حتى جاءت السيارات على أنواعها تمخر في واديها ليل نهار وتعد بالمئات يومياً، وهي الحركة مفعمة بالنشاط وبشكل خاص عندما تبدلت البلدة وتطورت من قرية متواضعة إلى بلدة حديثة تتمتع بكل مقومات المدن، وتخترقها الطرق المعبدة والسكك الحديدية.

البغال والخيول: لقد قل عدد هذه الحيوانات هذه الأيام، واستبدلت بالسيارات التي تعمل بالوقود، وبقي منها عدد قليل يوظف في الركوب وحمل الأثقال في مناطق لا تصل إليها الآليات من مرتفعات وطرق عسيرة، ويستخدم بعضها في حراثة الحواكير والأراضي العالية والمصاطب.

الأبقار: وتعتبر الأبقار من أغنى الثروات الحيوانية في بلدة طرعان، وكانت لها عنايتها الخاصة، ويقدم لها العلف في حظائرها لتعطي وتجود بحليبها بكميات لم يعرفها الفلاح من قبل، وكلما تطورت أساليب التربية زاد الإنتاج والجودة والقيمة، وهذا متوفر لدى الناس في البلدة.

النحل: ساعدت الظروف المحلية الطبيعية منها والبشرية، من جودة مناخ وكثرة أشجار، كلها ساعدت على وجود النحل بكثرة في بقاع فلسطين منذ قديم الزمان، وقد اشتهرت بلادنا فلسطين بتربية النحل زمن الكنعانيين، إذ كتب عنها طبيب فرعون المصري سنوحي لفرعون عندما هرب إلى فلسطين وسكنها وتزوج كنعانية وعاشر أهلها وكتب عنها ووصف خيراتها وكرم سكانها الكنعان ونشاطهم بالزراعة وبشكل خاص زراعتهم للكرمة، فيقول" إنهم يشربون النبيذ أكثر من الماء "وذلك قبل ألف وخمسمائة عام قبل الميلاد. أي قبل مجيء موسى عليه السلام.

طير الزرزور: من الطيور الموسمية المهاجرة تأتي في أوائل الربيع بأعداد كبيرة، حجمها متوسط ولحمها طيب، يلاحقها الصيادون ويجمعون منها الكثير وتُباع للمطاعم.

السُمّن والفري: وهو طير مقيم في كثير من الأحيان ويعيش بين جذور الشجر الملتف، ويتم تكاثره باستمرار رغم مطاردة الصيادين، وطريق الصيد يكون بالبارود والفخاخ والنقيفات، وهذا الطير متوسط الحجم لحمه لذيذ الطعم.

الزرعي: يشبه طير السمن لكنه يعيش بين الزرع والأراضي المحروثة، وأغلب صيده يتم عن طريق الفخاخ. أما الهدهد فهو طير موسمي يكثر في الربيع والخريف، جميل المنظر، له قنبرة على رأسه، صيده غير محبب لقلة وجوده أولاً ثم لاتجاهات دينية ثانياً، وهناك من الطيور الشائعة مثل (البلابل والدوري والكركس والشحيبر والآمي والسنونو)...إلخ. وهناك الطيور الجارحة مثل (الصقور والبوم والغراب).

المراجع

(1) الموسوعة الحرة ويكيبيديا.
(2) الديار النابلسية، ج2، ص314، مصطفى الدباغ.
(3) الموسوعة الفلسطينية، المجلد ج2، ص 647.
(4) النباتات الطبيعية الطبية في بلاد الشام، أحمد عويدات.
(5) الحيوانات الطبيعية في بلاد الشام.

الفصل الثاني

لمحة تاريخية

تركت لنا الآثار القديمة الكثيرة والمتنوعة أن طرعان كانت بلدة محاطة بسور في العصر الحديدي (التاسع والعاشر قبل الميلاد)، وعُثر على بقايا فخارية كنعانية وبنايات تعود لطرعان منذ فجر التاريخ، وقد تنوعت الآثار وتعددت، وعُثر على صهاريج وكهوف، وكانت البلدة معروفة قبل الفتوحات الإسلامية، وقد عاصرت طرعان معظم الفترات العربية الإسلامية من الخلافة الأموية والخلافة العباسية ودول المماليك والحكم العثماني، حيث وردت في الإحصاءات العثمانية، وكل المعلومات تشير إلى أن طرعان كانت بلدة كنعانية تمثل حضارة الكنعانيين الذين تركوا شواهد لا تُحصى عن دورهم في وجود حضارتهم التي يحاول العدو الصهيوني طمسها ويدعي أنه باني الحضارة وأهل العلم والمعرفة.

وتتطابق الأرض والمناخ والتربة والمزروعات، فهي تاريخياً بلدة كنعانية الأصل واليد واللسان كما ذكرنا، وأن الموقع والمناخ وطبيعة الأرض والمياه جعلتها جاذبة لسكن البشر منذ قديم الزمان، وقد مر تاريخها الطويل عبر الزمن، فعبرتها القوافل المحملة بكل المواد كما عبرتها الجيوش بجنودها وعساكرها اليونانية والرومانية ثم البيزنطية والإسلام، وباتت منذ ذلك الوقت من التجمعات البشرية في عهد الفتوحات العربية الإسلامية، وفي عهد صلاح الدين الأيوبي كانت مركزاً مهماً لإقامة الجند لتوفر الماء والغذاء والمواصلات، فتاريخها حافل بالأحداث، وقد أحدث فيها الظاهر بيبرس توزيع مناطق أقطعها على قادته الفاتحين، وإن ما يهمنا حالة البلدة في عهد العثمانيين والانتداب البريطاني البغيض:

لقد مرت طرعان في عصرها الذهبي أيام عهد الكنعانيين، إذ تجلت حضاراتهم في الزراعة والسكن والبناء، إذ كانت حياتهم ومستوى معيشتهم تفوق كل الحضارات.

والسؤال هنا: هل كان لليهود حضور؟ تعالوا إلى ما كتبه العلماء والباحثون من غير العرب: يقول غوستاف لوبون: "ولما دخل اليهود إلى فلسطين وجدوا مدنها وقراها ومزارعها، وكان معظمها بلدات صغيرة ومبعثرة لا تجمعها وحدة، وقد وجدوا بيوتاً مملوءة بالخيرات، فالمدن كانت عظيمة لم يسوّروها، وآباراً محفورة لم يحفروها، وأشجاراً مغروسة لم يغرسوها، وتعلموا من الكنعانيين الزراعة أو اقتبسوا منهم مئات التقاليد والأعراف، منها على سبيل المثال صناعة الفخار والخبز بالتنور، وصنع الخمور وتربية النحل وصنع الثياب، إذ كانت ملابسهم تسير حسب الطراز الكنعاني، وكان ملوكهم يلبسون قميصاً طويلاً من نوع خاص، كما كان قضاتهم يلبسون نفس القميص". ويواصل غوستاف لوبون: "ومن المعروف اليوم أن اليهود

كانوا أقل تمدناً ورقياً من الكنعانيين، والذين أخذوا عنهم الكثير من حضاراتهم وثقافاتهم وآدابهم وكتاباتهم وطقوسهم الدينية."

ويواصل غوستاف لوبون ويقول: "لم يكن لليهود من فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء حضاري، واليهود لم يساهموا بأية مساعدة في إغناء البشرية ولم يتجاوزوا قط مرحلة الأمم المتوحشة والتي ليس لها تاريخ، ولما صارت لليهود مدنٌ في نهاية الأمر بعد أن كانوا غاية في العجز من أن يقيموا بأنفسهم مدنهم ومعابدهم وقصورهم، وقد اضطروا في إبان حكم سليمان إلى الاستعانة بالخارج فجلبوا البنّائين والفنيين والعمال، ولم يكن بين هؤلاء إسرائيلي واحد."

ويقول سيغموند فرويد، عالم النفس اليهودي: "وفي الأسر البابلي بقي اليهود سبعين سنة، وتعرف هذه الحقبة بالسبي البابلي، إذ تغيرت أثناءها أحوالهم، ونشأ فيهم جيل جديد يختلف عن الأجيال السابقة، فتغير لسانهم وتنوعت آدابهم وتأثرهم وتخلقهم بالأخلاق البابلية. لقد شعر اليهود بالأسر وهم في بابل بأنهم نكرات بين شعوب لها حضارات أصيلة في بلاد ما بين النهرين، فتولدت عندهم عقدة النقص، وعندما بدأ الحاخامات ورجال الدين كتابة التوراة نسبوا لأنفسهم كل عظيم."

ويقول المؤرخ فيليب حتي: "ظل الناس حتى وقت قريب يجهلون حقيقة ما قدمه الكنعانيون إلى العبرية من لغة وفنون وعمارة وزراعة وأدب وصناعة، وكانت طقوس الهيكل تستدعي العزف على آلات موسيقية، وكان الموسيقيون الأوائل من الهيكل كنعانيين في أشخاصهم وتدريبهم، وعندما بدأ داوود بالموسيقى العبرانية المقدسة ورقّاها سليمان من بعده، لم يكن بين النماذج الغنائية ما يمكن اتباعه سوى النموذج الكنعاني". ويواصل حتي أن الختان أخذوه عن الكنعانيين الذين مارسوه في تقديم الأضاحي لإلههم فينوس، إله الخصب، وكان الرجل يقطع حِلمَة بَشْرته ليقدمها على المذبح، وكذلك الفتاة العذراء كانت تُفضّ بكارتها لتقدم الدم للمذبح أيضاً، فأخذوا هذه العادات ومارسوها وباتت شعاراً دينياً عندهم. يقول العالم بروستد: "لا يخفى على أحد أن المدن الكنعانية كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ منتصف ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد، كانت بيوتهم متقنة حوت العديد من أسباب الراحة والرفاهية، إلى جانب الصناعة والتجارة ومعرفة الكتابة ومعارف هامة. حضارة اقتبسها أولئك العبرانيون من السكان الكنعانيين، لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عنهم، وقد أحدث الاختلاط تغييرات كثيرة بين الطرفين تجلت في حياة العبرانيين، فغادر بعضهم سكن الخيام وشرعوا ببناء مساكنهم كبيوت الكنعانيين، وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من الصوف الزاهي، بعد زمن معين من التفريق بينهم وبين الكنعانيين."

طرعان في العهد العثماني

اعتمدت الدولة العثمانية على من يؤمن لها الضرائب والأمن في التنقل وسير قوافل الحجاج إلى الحجاز، كما كان يهمها الحد من غزوات العشائر وآثارهم على ثروات المزارعين، ورأت أن زعماء العشائر هم فرصتها في تحقيق الأمن والاستقرار، فاعتمدت على العائلات ومنحتهم التزام جمع الضرائب وتأمين المزارعين من سطوة تجار المدن وغزوات العشائر البائسة، ومع صلاح هذه السياسة بشكل عام، فإن بعض الأمراء تحدوا السلطة وقاموا ضدها وحاربوها، وتزعزع الأمن وعمّت الفوضى في كثير من بلاد الشام، وقامت الخلافات بين العوائل.

دُمجت طرعان في الدولة العثمانية عام 1517، وظهرت في سجلات الضرائب العثمانية في عام 1596 كقرية تابعة لناحية طبرية وسنجق صفد. كان عدد سكانها 48 أسرة مسلمة، وكانت تدفع ضريبة بنسبة 25% على المنتجات الزراعية مثل القمح.

لم تكن الدولة العثمانية في أواخر عهدها راضية عن النشاط الصهيوني في احتلال فلسطين، وفي عهد استلام السلطان عبد الحميد عام 1876م حاول (ثيودور هرتزل) الاجتماع بالسلطان وعرض عليه المساعدة في سد ديون الدولة المتعثرة، مستغلاً الحالة الاقتصادية المزرية التي وصلت إليها خزينة الدولة والديون الهائلة التي أثقلت كاهل الدولة والباب العالي، مما جعل تركيا تخضع لحماية الدول الأوروبية، على أن تتحمل الصهيونية مهمة التحويل، وتكون قد خلصت السلطان من خضوعه للحماية، بحيث يمكن اقتراض ما يريد من الديون الجديدة. حاول هرتزل مستعيناً بزعماء أوروبا، وبشكل خاص قيصر ألمانيا الصديق الحميم للسلطان عبد الحميد، ورغم كل الإغراءات رفض السلطان عبد الحميد أي طلب يخص بيع أي شبر من أرض فلسطين، وأصدر فرماناً يحرم بيع أي شبر من أرض فلسطين لليهود.

وتأكيداً لما أكتب، أذكر للقارئ مقولة للسلطان عبد الحميد يفسر فيها عدم موافقته على طلب هرتزل، يتوسط نيولنسكي حول رأي السلطان ببيع فلسطين لليهود، بقوله: "إذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقي فانصحه أن لا يسير أبداً في هذا الأمر. لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحدة من البلاد لأنها ليست لي بل لشعبي. لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم وقد غذّوها فيما بعد بدمائهم وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا. لقد حاربت كتيبتنا في سورية وفي فلسطين وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر في 'بلفنة' لأن أحداً منهم لم يرض بالتسليم وفضلوا أن يموتوا في ساحة القتال. الإمبراطورية التركية ليست لي وإنما للشعب التركي، لا أستطيع أبداً أن أعطي أحداً أي جزء منها. ليحتفظ اليهود ببلايينهم، فإذا قُسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل. إنما لن تُقسم إلا جثتنا، ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان.(3) "

هذا كان موقف السلطان عبد الحميد العثماني، لكن الذي حصل أن الصهاينة تمكنوا من التلاعب وشراء أراضٍ من غرباء ليؤسسوا باكورة الاستيطان الصهيوني، وإليك أسماء المستعمرات التي بناها الصهاينة بعد فرمان السلطان: كان طريق زرع كيان غريب في قلب الأمة العربية في فلسطين. وكان من عادة وزارة الاستعمار البريطاني وضع خطة لكل مئة عام لمستعمراتها، وفي عام 1906 وضعت خطة جديدة مع الصهيونية العالمية في حل المسألة اليهودية في أوروبا بدعم اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، غايتها حل المشكلة اليهودية وتخريب وحدة العرب وإضعافهم بوجود عدو مستديم يمنع توحدهم، ويجبرهم على شراء السلاح ونهب أموالهم وتدمير ما بنوه بأموال البترول الذي حولوه نقمة بدل أن يكون نعمة. وقد اتبعت الصهيونية كل الأساليب لانتزاع أرض فلسطين من أصحابها، ولجأت إلى التحايل وكل الأساليب غير الأخلاقية، منها على سبيل المثال خلق وسطاء من قناصل الدول لشراء الأراضي بأسمائهم ثم تحويلها إلى اليهود، وقد سبق للسلطان عبد الحميد أن أصدر فرماناً عام 1886م يحذر فيه من بيع أراضٍ في فلسطين لليهود.

واليك عزيزي القارئ ما ابتاعته الصهيونية من أراضٍ بنت عليها المستعمرات التالية:

1. **بتاح تكفا:** ومعناها (باب الرجاء) أقامها الصهاينة عام 1881م على أراضي ملبس قرب يافا، وعلى قسم من الأراضي البالغة عشرة آلاف دونم اشتراها الصهاينة من مالكها اللبناني (تيان).
2. **ريشون ليتسيون:** أقامها الصهاينة عام 1881م على أراضي (عيون قارة) العربية وتبلغ مساحتها 2340 دونماً، حجزتها الحكومة التركية وعرضتها للبيع بالمزاد العلني بسبب عجز أهلها أصحابها العرب عن سداد الضرائب للحكومة التركية، فحاول مهاجر صهيوني من الروس (ليغونتين) شراءها، لكن الحاكم العسكري التركي رفض استناداً إلى قرار السلطان بعدم بيع الأراضي في فلسطين لليهود. اشترى القنصل البريطاني في يافا، وهو الحاخام أمزيبليغ، تلك الأرض من الحكومة بصفته قنصلاً بريطانياً بسعر 15 فرنكاً للدونم الواحد، وقام بعد ذلك بتحويلها إلى الصهاينة وأقاموا عليها مستعمرتهم ريشون ليتسيون.
3. **مستوطنة روشبينا:** أقامها الصهاينة على قطعة أرض يملكها يهوديان من يهود صفد (فريدمان وفشتاين) من ضمن أراضي قرية الجاعونة، سبق أن ابتاعها من مالكها اللبناني ثم باعها إلى روتشيلد عام 1882م، حيث أقام عليها 50 عائلة من مهاجري رومانيا.
4. **زخرون يعقوب:** (زمارين) أقيمت عام 1882م على قطعة أرض مساحتها 5000 دونم اشتروها من أحد المستثمرين الفرنسيين، وتقع أراضيها على جبل الكرمل الجنوبي لحيفا، وكان الفرنسي يزرعها

بالعنب للتصدير إلى معامل الخمر، وتم بيعها عن طريق القنصل الألماني والنمساوي يدعى إميل فرانك، وكان إلى جانب كونه قنصلاً كان وكيلاً للسفن البريطانية التجارية في الموانئ العربية. وزخرون يعقوب هذه سُميت على اسم جيمس (يعقوب) روتشيلد، ترتفع عن سطح البحر زهاء 170 متراً.

5. **مستوطنة نس تيونة:** أقامها الصهاينة عام 1883م على مساحة 2000 دونم من سهل الحولة، اشتروها من قنصل فرنسا ووكيل القنصلية في صفد ويدعى يعقوب عبو، وسبق له أن ابتاعها من مالكها اللبناني (تيان)، وأقام فيها مهاجرين من بولونيا.
6. **مستعمرة المطلة:** أقامها الصهاينة عام 1883م على أراضي قرية عقرون قرب يافا، واشتروا أراضيها من مالكها اللبناني (تيان).
7. **مستعمرة عكرون:** (مركز بيت بانيه) أقامها الصهاينة عام 1883م على أراضي مقرون قرب يافا، واشتروها من مالكها اللبناني (تيان).
8. **مستوطنة غدير:** أقاموها عام 1884م على أراضي قرية قطرة قضاء الرملة، اشتراها القنصل الفرنسي في يافا.
9. **مستوطنة مائير طوقيا:** أقامها الصهاينة عام 1887م قرب يافا، واشتروا أرضها من مالكها اللبناني (تيان).
10. **مستوطنة شلومو:** أقاموها عام 1889م على نفس الأرض التي أقاموا عليها زخرون يعقوب، والتي اشتراها المالك الفرنسي جنوب حيفا على الكرمل.
11. **مستوطنة الخضيرة:** أقاموها عام 1890م على أراضي الخضيرة العربية على ساحل جنوب حيفا.
12. **مستوطنة شافية:** أقاموها عام 1889م على أراضي زخرون يعقوب.
13. **مستوطنة دحقوت:** أقاموها عام 1890م اشتروها من مالكها اللبناني (تيان) جنوب حيفا.
14. **مستعمرة مشمار هياردن:** اشتروها من ملاكها اللبنانيين قرب الحدود السورية الشمالية مع فلسطين عند جسر بنات يعقوب.
15. **مستوطنة سوتا تحتين:** أقيمت عام 1894م قرب مدينة القدس على أرض يملكها اليهودي البريطاني (مونتغور).
16. **مستعمرة غان شيموئيل:** أقاموها عام 1894م. وكان يقيم في هذه المستعمرات الأربعين حوالي 12 ألف مستوطن حتى عام 1918م، وهو تاريخ الانتداب البريطاني، الذي فاق كل التوقعات في

سلب الأراضي، وفتح أبواب الهجرة على مصراعيها، وسهّل للصهيونية كل مقومات وجودها الاقتصادية والمؤسساتية والمنظمات والعصابات العسكرية، حتى باتت دولة إسرائيل داخل الكيان البريطاني. وقد عملت حكومة الانتداب كل ما وسعها لتقديم ما أنجزته هذه الحكومة الظالمة لشعب فلسطين من قهر وقتل وعقاب. لقد قدمت الحكومة البريطانية كل ما بنته من موانئ ومطارات ومصافي بترول ومعسكرات كانت تأوي 80 ألف جندي، وطرق معبدة وخطوط حديدية لم توجد مثلها في الشرق الأوسط، وسلمتها على طبق من ذهب مطلي بدماء أبناء فلسطين دون وخز ضمير أو مسحة إنسانية. لقد أوفت بريطانيا المجرمة بوعدها المشؤوم، وهي التي أقامت دولة إسرائيل بكل مقوماتها، ليس حباً باليهود بل كرهاً للعرب.

معالم طرعان

هناك معالم مميزة في طرعان منها:

- **عين طرعان**

من المعالم التاريخية في البلدة، وتقع العين في الطرف الشمالي الغربي من القرية على سفح جبل طرعان، كانت العين مصدر الحياة للقرية، فقد شرب أهل القرية منذ مئات السنين من مائها النظيف والصالح للشرب حتى الآن. بعد قيام إسرائيل أُهملت العين لوجود شبكة المياه الحديثة في الخمسينيات من القرن العشرين في كل بيت، وتراكمت بها الفضلات ولم تستعمل. وبعد مبادرة من أهل القرية ومن الحركة الإسلامية في إسرائيل بالأخص، نُظفت العين من جديد وأُزيلت الفضلات، وتم إعمارها من جديد وتمت المحافظة عليها من العبث والتخريب. لعين طرعان تاريخ قديم، فقد ذكرت العين في كتب التاريخ كأحد النقاط التي مر بها الجيش الصليبي في القرون الوسطى، حينما كان متجهاً إلى بحيرة طبريا للقاء جيش صلاح الدين الأيوبي، حيث التقى الجيشان في معركة حطين.

- **الكسارة**

أهمها مواد البناء، تقع الكسارة في الجهة الشرقية للبلدة، لها شارعها الخاص الذي يربطها مع الشارع الرئيسي، يستعمل الشارع أيضاً كمدخل ثانوي من الجهة الشرقية للقرية. تعد الكسارة مركز رزق مهم لأهل البلدة، حيث يعمل العديد منهم في الكسارة، وبالرغم من الفائدة الاقتصادية من الكسارة للقرية، إلا أنها تعد مركز تلويث أساسي للقرية، وهناك العديد من الأصوات التي تطالب بإلغاء الكسارة أو نقلها بعيداً عن

القرية، فبعد التوسع المعماري لأهالي القرية إلى الجهة الشرقية، اقتربت البيوت لدرجة ملاصقة الكسارة، فزاد التلوث الهوائي والانزعاج من وجود الكسارة بجانب البلدة.

- **برج طرعان**

يقع برج طرعان في أعالي جبل طرعان الذي يرتفع 480 متراً فوق سطح البحر، بُني البرج في زمن قيام إسرائيل لموقعه الاستراتيجي، حيث يقع البرج في أعلى نقطة من جبل طرعان، ويطل على المناطق المحيطة مثل: طرعان، وسهل طرعان، وقرية البعينة، ونجيدات، وسهل البطوف والقرى المحيطة بسهل البطوف.

- **مسجد أبو بكر**

المراجع

(1) بلادنا فلسطين، ج1، ق2، ص 256، مصطفى الدباغ.

(2) الموسوعة الفلسطينية، ج2، ص 165، نقولا زيادة.

(3) الموسوعة الفلسطينية، ج2، ص 772، مصطفى الدباغ.

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية

(زراعة، صناعة، تجارة، سياحة)

الزراعة في طرعان

كانت الزراعة قبل زمن الحكم البريطاني نشطة، فالعمالة كانت متوفرة، وفي العقد الأول من حكم بريطانيا لفلسطين، كان الفلاح يعمل في أرضه وإنتاجه يباع في الأسواق ويحصل على المال لشراء حاجاته من ثياب وسكر وأرز وقهوة، إلى جانب الكبريت ووقود الكيروسين، وبالمقابل يبيع الفلاح غلات أرضه من قمح وشعير وعدس وذرة وزيتون، إلى جانب ما أنتجه من ألبان (جبن، زبدة، سمن) ومن الدواجن (الفراخ والبيض) ومن الأغنام والماعز. الكثير يزرع الأرض بالحبوب في أواخر الخريف ويحصد ما زرع في أواخر أيار، ويجمع الحبوب بعد درسها في أكياس من القنب، ويحفظ قسمًا منها في بيته والباقي يطرحه في السوق للبيع، وكذلك الحال للبقول من (عدس وفول وحمص وسمسم وكرسنة وغيرها)، وكان الفلاح في بحبوحة من العيش الكريم في العقدين الأولين من القرن العشرين.[1]

تقدر مساحة أراضي طرعان بـ 10 آلاف دونم، 46% سهلية و54% جبلية، وتقسم مساحات الأراضي لزراعة الحبوب بـ 5,224 دونماً و2,799 دونماً أشجاراً مثمرة وعلى رأسها الزيتون. حاول الفلاح توظيف العلم في الزراعة خاصة بعد أن قضى على الأمية، وذلك باستخدام المخابر العلمية في تحسين الإنتاج الزراعي كمًا ونوعًا، فأدخل المكننة الزراعية في استخدام الأرض واستثمارها، وتعويض ما فقده من أرض بإقامة المصاطب على المنحدرات، وبناء البيوت البلاستيكية لزراعة الخضار والنباتات المثمرة والأزهار وحظائر المواشي والدواجن، إلى جانب مستعمرات النحل، رغم كل التحديات من قوانين عسكرية ومراسيم مدنية مثل قانون سكاف. وإليك عزيزي القارئ بعض العقبات التي تعرض لها المزارع الفلسطيني في أرضه، والتي أصبح غريباً فيها:

1. محاربة الفلاح في أرضه، إذ سُنَّت قوانين لتحويلها إلى اليهود إذا ما تُركت تلك الأرض بدون زراعة خلال سنتين.
2. تتحول إلى اليهود لو أن أصحاب الأرض لم يفلحوا أرضهم خلال سنتين، فتصادر لصالح المستوطنين اليهود، وكذلك الأراضي التي لم تدفع عنها الضرائب والرسوم.

3. إغراق الأسواق بالحبوب المستوردة بأسعار دون الأسعار السابقة، دون حماية المنتج الفلسطيني، مما أفقر الفلاح أو مالك الأرض العربي(3) .
4. جلب العمال الفلسطينيين العرب من مزارعهم ليعملوا في بناء الطرق والموانئ والمعسكرات للجيش البريطاني الذي قُدِّر عدده بـ 80 ألف جندي في كل البلاد وعرضها، وقد باتت فلسطين في ذلك الوقت مثلها كمثل دول الخليج هذه الأيام، بحاجة إلى الأيدي العاملة والوظائف المتنوعة.
5. إقامة المؤسسات والدوائر الحكومية من مراكز للبوليس ودور الحكم، وسمحت للصهيونية إقامة دوائرهم الخاصة وجمعياتهم ومؤسساتهم، حتى باتوا يعيشون في دولة داخل دولة.
6. كل هذا كان سلبًا للأراضي من أصحابها وإحلال المهاجرين الصهاينة فيها، دون منح الفلسطينيين أي حق من الحقوق، بل كان هدفهم إفقار الشعب وتدميره، ونحن نرى الآن وقد مر على هذه الأيام مئة عام منذ وعد بلفور في 1917/10/2 حتى اليوم، ونحن نعاني نظامًا تسلطياً إسرائيلياً، من احتلالات للأرض وقتل لكل معارض، ونهب أموال أهل البلاد، وامتلاء السجون، وتهجير الناس بالجملة، واستقبال الأغراب وتوزيع الغنائم بدون حق، أو وخز ضمير أمام مسمع وحضور الأمم المتحدة التي وظفتها لهم الدول الاستعمارية والدولة الإمبريالية الولايات المتحدة الأمريكية من خطط الاستعمار البريطاني، وما خطط له، وجاءت الإمبريالية الأمريكية بخططها الشيطانية في إكمال المشوار في تدمير العرب ودينهم الإسلامي، في محاربتهم بعضهم لبعض، وتوظيف أسلحتهم ضد شعوبهم، وهدم بيوتهم بأيديهم، ليس حباً باليهود بل كرهاً وحسداً للعرب والإسلام. لقد لعبت عكا ومدنها وقراها دوراً بارزاً في اقتصاد سكانها ورفاهية أحوالهم المعاشية، رغم ثقل الاحتلال الجاثم فوق صدورهم، ينغص أفراحهم ويدمي قلوبهم ويدمر بنيانهم الذي جمعوه وأقاموه بعرق الجبين وجهد الأكباد والقلوب. فقد اشتهرت طرعان بتينها وزيتونها وعنبها وبقولها من (عدس وفول وحمص وسمسم) ومن الخضار (البندورة والباذنجان والكوسا والخيار والقثاء) إلى جانب السعتر والبقدونس والكزبرة والنباتات الطبيعية الطبية التي ذكرتها، ومن الألبان الكثير يدر على مربي المواشي من أغنام وأبقار، وما تصنعه من لبن رائب ولبن جامد وجبنة وزبدة وأسمان، وقد أقيمت بالبلدة بعض المعامل لإنتاج مثل هذه المواد، وينشط تجار البلدة ببيعها في الأسواق. لقد قام بعض الفلاحين في البلدة ببناء حظائر للدواجن وتربية النحل في صناديق خاصة وتقديم الغذاء اللازم لها، وقد تضاعف الإنتاج وتحسنت جودته وزاد المردود المادي، كما بنيت البيوت البلاستيكية لزراعة الخضار بتنقيط المياه وتركيب السلالم لتسلق النباتات من بندورة وباذنجان وفول وحمص وبازيلاء وغيرها الكثير، وقد أبدع الفلاح في بلدة طرعان بزراعة الأزهار والحرص على تربية الأجود منها.

لقد بدأت الصناعة في بلدة طرعان تعتمد على المواد المتوفرة، وأغلبها تجلى بمعامل المواد الغذائية من منتجات الألبان وحفظ اللحوم والخضار والبيض بحافظات البلاستيك والكرتون وخزنها في الثلاجات، كما تم حفظ البقول الطازج منها بأكياس من النايلون والبلاستيك وتزويد المحلات التجارية (السوبر ماركت) المتوفرة بالبلدة، ويمكن للفرد الذهاب إلى مثل هذه المحلات ليبتاع ما يريد من غذاء وملابس وأدوات كهربائية ومنظفات وغيرها الكثير، حيث عمت هذه الظاهرة جميع الأسر بالبلدة ووفرت على ربات البيوت ما كن يعانينه من جهود في توفير الطعام من رغيف الخبز وطبخ وغسيل ووقود، حتى صناعة أطباق القش من سيقان القمح والشعير، وتطور طبق الطعام من وضعه على الطبلية إلى طاولة يوزع عليها الطعام تحيطها الكراسي لتناول وجبة الطعام، بدل طبق القش الذي كان يوضع على الأرض يلتف حوله أفراد الأسرة جلوساً وأكل وجبتهم. لقد عمل أهل البلدة بشكل أساسي في الزراعة وتربية الحيوان والدواجن، من حبوب وبقول وزيتون وتين، وتربية النحل والدواجن، ومن منتجاتها ما يلي:

1. **الحبوب** :لقد سلخ المحتل أكثر من نصف أراضي القرية، وقد عوض الناس هذه الخسارة ببناء المصاطب على سفح المرتفعات واستغلوها بزراعة الأشجار المثمرة من تين وزيتون ولوزيات وفاكهة أخرى، كما خصصت الأراضي السهلية بزراعة القمح والشعير والبقول، واستخدموا الأدوات الحديثة وطوروها لمضاعفة الإنتاج، واستغلوا القمح لإنتاج الطحين والشعير لغذاء الحيوان، إلى جانب مخلفات هرس الحبوب من القش (تبن) لخلطه بالحب من أجل الحيوانات.
2. **البقول** :يجمعون الحمص والفول والعدس والسمسم بعد جفافها. ويحرقون سنابل القمح في شهر نيسان، بعد نضوجها، ويشعلون النار، وعلى لهب النار يلوحون السنابل حتى تحرق النار شعرات السنابل، وبعد أن تبرد السنابل يفركونها بأيديهم ويحصلون على الفريكة، بينما يسلق القمح، وبعد أن يستوي بفعل الحرارة يسمى (البرغل)، ويُطحن العدس والفول لإنتاج شوربة العدس والفول لأجل طبخة البصارة مع الملوخية.
3. **التين** :يلعب التين دوراً كبيراً في حياة أهل بلدة طرعان لتعدد أصنافه وجودة حلاوته، تقدم الأطباق على الموائد ويصدر الكثير منها طازجاً إلى الأسواق المحلية ثم إلى مدينة عكا والناصرة، والباقي يجفف للمونة أو يباع في الأسواق ووضعه في مغلفات تصدر للأسواق أيضاً.
4. **الإنتاج** :وتحسنت جودته وزاد المردود المادي، كما بنيت البيوت البلاستيكية لزراعة الخضار بتنقيط المياه وتركيب السلالم لتسلق النباتات من بندورة وباذنجان وفول وحمص وبازيلاء وغيرها الكثير، وقد أبدع الفلاح في بلدة طرعان بزراعة الأزهار والحرص على تربية الأجود منها. لقد بدأت الصناعة في بلدة طرعان تعتمد على المواد المتوفرة، وأغلبها تجلى بمعامل المواد الغذائية من منتجات الألبان وحفظ

اللحوم والخضار والبيض بحافظات البلاستيك والكرتون وخزنها في الثلاجات، كما تم حفظ البقول الطازج منها بأكياس من النايلون والبلاستيك وتزويد المحلات التجارية (السوبر ماركت) المتوفرة بالبلدة، ويمكن للفرد الذهاب إلى مثل هذه المحلات ليبتاع ما يريد من غذاء وملابس وأدوات كهربائية ومنظفات وملابس وغيرها الكثير، حيث عمت هذه الظاهرة جميع الأسر بالبلدة ووفرت على ربات البيوت ما كن يعانينه من جهود في توفير الطعام من رغيف الخبز وطبخ وغسيل ووقود، حتى صناعة أطباق القش من سيقان القمح والشعير، وتطور طبق الطعام من وضعه على الطبلية إلى طاولة يوزع عليها الطعام تحيطها الكراسي لتناول وجبة الطعام، بدل طبق القش الذي كان يوضع على الأرض يلتف حوله أفراد الأسرة جلوساً وأكل وجبتهم.

لقد استعمل الصهيونيون أبشع الطرق والأساليب غير الإنسانية في محاولة منهم للتخلص من سكانها وإجبارهم على النزوح عن ديارهم، وقد نتج عن ذلك هجرة أكثر من 750 ألف نسمة إلى الضفة الغربية والأردن وسوريا ولبنان والعراق وقطاع غزة والدول العربية المجاورة، وقد دمر العدو 385 قرية عربية تدميراً كاملاً وأزالتها من الخريطة وذلك عام 1948م.

لقد عانى سكان فلسطين في أرضهم المحتلة عام 1948م الكثير من التضييق عليهم في ظل الحكم العسكري، وكانوا يعيشون في سجن كبير فرضه عليهم الاحتلال الإسرائيلي، وفي حرب عام 1967 استولى الجيش الإسرائيلي على كامل الأرض الفلسطينية (الضفة الغربية وقطاع غزة)، كما استولى على سيناء والجولان، وقد اتخذ العدو الصهيوني هذا النصر نبراساً لهم في الانتقام من العرب، بدلاً ممن ذبحوهم وأحرقوهم من حكام النازية بألمانيا، فاتخذوا الاضطهاد عنواناً في تعاملهم للمواطنين العرب، من سلب أراضي وتقييد حركة ومنع تجول وضرورة الحصول على تصاريح للتنقل، ويمكن حصر المضايقات تلك بما يلي:

1. تقييد الحركة بالنسبة للمواطن.
2. تخريب المقدسات المسيحية والإسلامية، إذ تم عام 1948 هدم أكثر من 350 مسجداً وكنيسة.
3. استمرار الحكم العسكري في المناطق العربية المحتلة.
4. نسف المدن الصغيرة والقرى.
5. إتلاف الفواكه على الأشجار المثمرة.
6. مصادرة محاصيل العرب وإجبارهم بيعها للحكومة بأسعار منخفضة، بالإضافة إلى اغتصاب الأرض بشتى الحيل.

7. سن القوانين الضارة بالعرب.
8. القروض الإجبارية (مبالغ مالية بفوائد عالية تقدمها السلطة إلى المزارع لزراعة بعض المحاصيل التي يحتاجها المحتل في الصناعة).

تعرض المواطنين العرب لغارات الجيش تحت حجج هو يخلقها، وقد سنت حكومة الاحتلال عشرات القوانين بغرض الاستيلاء على أراضي المواطنين حسب الأساليب التالية: أراضي مناطق الحدود: كذلك أصدرت السلطات الإسرائيلية في فترة حكم الليكود مجموعة جديدة من القوانين العنصرية التي تستهدف التضييق على المواطنين العرب وتشريدهم من ديارهم وقراهم. أهمها:

1. **قانون كتساف عام 1979** :ويقضي هذا القانون بمنع شركتي الماء والكهرباء وإدارة الهاتف والبريد والمجالس المحلية من تقديم الخدمات التي تعتبرها السلطات المحتلة غير قانونية، والتي اضطر أصحابها إلى إقامتها بسبب زيادة السكان وسياسة تقليص مسطحات البناء لهذه القرى، مما تسبب بتشريد عشرين ألف مواطن عربي وتدمير ستة آلاف منزل، وقد طبق القانون بأثر رجعي.
2. **قانون التحسينات** :يقضي هذا القانون بفرض ضريبة جديدة على المزارعين العرب قيمتها 50% من قيمة التحسين، مقابل تزويدهم بالتكنولوجيا الزراعية الحديثة، وذلك لحملهم على ترك أراضيهم بسبب ضيق اليد.
3. **قانون طرد الغرباء من أراضي الدولة** :يؤدي هذا القانون إلى طرد المواطنين العرب الذين يستغلون أراضي الدولة منذ فترة الانتداب البريطاني وليست لديهم وثائق تثبت ملكيتهم لهذه الأراضي، حيث تعتبرهم سلطات الاحتلال غرباء، وتم مصادرة 150 ألف دونم آنذاك من أراضي 17 قرية في الجليل، وقد صدر هذا القانون في 1982/10/7، وقد ضمت هذه الأراضي إلى المجلس الأعلى للمستعمرات اليهودية في المنطقة (مسفاف).
4. **تحديد حرية الانتقال** :استغلت السلطات العسكرية لفرض أحكامها على المناطق التي يتركز فيها المواطنون العرب في الجليل والمثلث لعقدين من الزمن، إذ تحولت هذه المناطق لسجن كبير يحظر الخروج أو الدخول إليها إلا بتصريح من الحاكم العسكري الذي كان يرفض منح تلك التصاريح، حتى باتت القرى تعيش في زنزانات عديدة.
5. **تحديد أسعار المواد** :مثل المحاصيل الزراعية، إذ حظرت سلطات الاحتلال على المزارعين التصرف بمحاصيلهم وحتمت عليهم تقديمها لشركة صهيونية، ففي خريف عام 1952 استولت السلطات على بعض المنتجات الزراعية في المنطقة الشمالية بدون مقابل.[2]

صادرت سلطات الاحتلال بعض أراضي البلدة بعد النكسة وحولتها إلى بعض مستعمراتهم الإسرائيلية. لقد كان إنتاج البلدة من الحبوب والبقول والخضار والدواجن والألبان ما يكفيهم ويزيد عن حاجاتهم، فيباع في الأسواق. تنتج من الأقوات ما يكفي أهلها ويزيد من البقول والخضار والزيتون والفواكه، ومن الدواجن الكثير من البيض وأفراخ الدجاج، وكانت لكل أسرة ما يكفيها من البرغل والعدس والزيوت، إلى جانب الحمام والزغاليل، وكانت المواشي تسرح وتمرح تتغذى بنبات الأراضي المكسوة بالخضرة، ومن الألبان يصنعون الجبن والزبدة واللبن المصفى والسمن، وكانت أسرة الفلاح في بحبوحة من العيش الكريم، وظلت هذه حالة المزارع في العهد الأردني، بينما تطورت الزراعة وتربية الحيوان باستخدام الأتمتة والمخابر العلمية ووجود خبراء الزراعة ووسائلها من آلات ومعدات حديثة ضاعفت الإنتاج، كما استحدثت مزارع الأبقار والأغنام بأبنيتها الضخمة والمزودة بالمذاود والتبريد في الصيف والتدفئة في فصل الشتاء، كل هذا حدث في الربع الأخير من القرن العشرين، وباتت البيوت البلاستيكية تتوزع على منحدرات الجبال تزرع فيها جميع الخضار.

جانب نباتات غذاء الحيوانات، كما زرعت الأزهار بأجود أنواعها وفصائلها رائحةً ورونقاً وجمالاً، وقد أضاف المزارع غرس أجود أصناف التبغ، واقتنى خلايا النحل التي تتغذى بما حولها من أزهار ونباتات عطرة مثل اليانسون والشومر. لقد حرم الاحتلال سكان البلدة من هذه النعم وسخرها في بناء المستوطنات وإحلال الغرباء، وتضييق الخناق على عرب فلسطين ليعيشوا في بؤر محدودة لا يمكن تجاوزها بما يحيط بالبلدة من مستوطنات.

كل هذه الممارسات الظالمة هدفها هروب الناس من الجحيم الذي يعيشونه، وقد قابله أصحاب الأرض بالتحدي، وقد مر حتى الآن سبعة عقود ولم يترك الشعب الفلسطيني أرضه، وزاد إصراره على التمسك بها

والعمل على إعادتها عاجلاً أو آجلاً. وحركات التاريخ تتذبذب للأعلى والأسفل، وسرعان ما شهدنا دولاً صعدت بسرعة ثم اندثرت، وما ألمانيا واليابان عنا ببعيد.

العمالة وأثرها على المزارع الفلسطيني عام 1948

تعاني جمعيات المزارعين العرب من مشاكل تحد من نشاطاتها، تتجلى بما يلي:

- ارتفاع أجور العمالة وتدنيها في مزاحمة المزارع العربي.
- صعوبة التنقل بين الداخل والضفة والقطاع.
- صعوبة تصاريح العمل للعمالة بين الضفة والداخل المحتل.
- صعوبة نقل البضائع وتأخرها بسبب الحواجز وتلفها.

لقد عمل قسم كبير من سكان طرعان في الخدمات العامة في المستوطنات حيث لم تعد الغلات الزراعية تكفي سكانها.

الصناعة في بلدة طرعان

كانت الصناعة في بلدة طرعان في مطلع القرن العشرين عبارة عن حرف يدوية بسيطة تعتمد على القوة العضلية، مثل الحدادة (صناعة سكة المحراث، وحدوات الخيول والبغال، والسكاكين والخناجر وغيرها من أدوات القطع، إلى جانب ركاب الخيل المعدني (نحاسي أو حديد)، والسلاسل الحديدية. ومهنة صناعة الجلد: دبغ جلود الحيوانات وصنع الأحذية وسروج الخيل وأحزمتها ومعاطف الجلد على أنواعها، ولم يكن في القرية سوى حداد واحد وصانع أحذية واحد ودباغ واحد. وقد تعددت هذه الحرف مع تزايد السكان حتى منتصف القرن العشرين، حيث بدأت تظهر مهن أخرى مثل الخياطين وحدادي الأبواب والنوافذ والنجارين على أنواعهم (نجاري الأبواب والنوافذ ونجارين الموبيليا)، وورشات صناعة البلاط والألومنيوم والبلاستيك والنحاس، ومواد البناء من الكلس والفحم الخشبي وحديد الباطون، وطحن الحجارة وتكسيرها وقصها وتلميعها وسكب الرخام وبواري أدوات صحية والتمديدات الصحية للبيوت والطاقة الشمسية وصهاريج الماء، إلى جانب تطوير صناعة الفخار وطليه بالبورسلان وإنتاج نماذج سياحية.

وقد عملت بلدية طرعان على تطوير البلدة منذ عام 1959م، إذ رأس المجلس المحلي السيد محمود يوسف عدوي منذ عام 1989، وقد شغل منصب رئيس المجلس لفترتين انتخابيتين قبل ذلك.

يتمثل المجلس بـ 11 مقعداً موزعة بين ست قوائم انتخابية هي: قائمة العمل والأخوة ولها ثلاثة مقاعد، الجبهة الديمقراطية ممثلة بأربعة مقاعد، وقائمة العمال والفلاحين حيث أسس أول مجلس للبلدة، حيث قام رؤساء المجلس في تنظيم الشوارع وتعبيدها، وزودوا القرية بشبكات الماء والكهرباء والهاتف، وبنوا الأسواق والمرافق العامة من مدارس ومصحات. فقد تعجب لما تراه في البلدة القديمة من بيوت طينية آيلة للسقوط وأزقة ضيقة ملتوية، وبين ما تراه في العمران الجديد من شوارع مستقيمة معبدة تحف على جانبيها المحلات التجارية والأسواق، وترى سقوف القرميد تتوج سطوح البيوت والجنائن تحف جدرانها فتنقي هواءها وتنعش صدور ساكنيها. وكان الحذاء في الماضي تقوم صناعته على نوع أو نوعين من الأحذية، بينما ترى ورشات الأحذية تفخر بجودة صناعتها وتنوع أشكالها، وقد امتلأت المحلات التجارية من الأحذية المستوردة الرخيصة الثمن والمنفعة.

إن نشاط التجارة في البلدة يعززها الكثافة السكانية ومستوى معيشة الأسرة، وقد قضي على الأمية نهائياً في البلدة، وبات عدد المثقفين يفيض عن حاجة البلد، ويلجأ بعض الخريجين للعمل في الخارج، يزودون ذويهم بالحوالات المستمرة ويوظفون بعضها بمشاريع استثمارية مفيدة. وقد شاركت المرأة الرجل في الوظائف الحكومية والخاصة بعد أن تعلمت وحصلت على الشهادات، ولم تعد عالة على أهلها، ومع ذلك نرى بعض النسوة في البلدة وقد اعتدن على شغل التطريز وصنع أدوات من سيقان القمح والشعير وإنتاج أطباق القش الملونة تستخدم ديكورات تعلق على جدران الصالونات، إلى جانب تطريز الملابس النسائية، وقد رأيت ثوبًا يباع بسعر خيالي في هيوستن وصل حتى ثلاثة آلاف دولار أمريكي، وهنيئاً لإخوتنا وأخواتنا في بيت لحم وقضائها ورام الله ومحيطها لهذه الصناعة المجدية للجيب والسمعة. وكم رأيت من نماذج خشب الزيتون المتنوعة الأحجام والألوان مرصعة بالصدف، تبهر العيون وتشرح الصدور حقاً. ومع كل التقدم والتطور

في الزراعة والصناعة، فإن الحركة الاقتصادية في الوسط العربي ليست مرغوباً فيها من المواطنين العرب بسبب:

1. التحاق الشبان بوظائفهم في دول الخليج أو إكمال دراساتهم العليا في الخارج، وأن نسبة كبيرة من المثقفين من مواطني طرعان يعملون في الخارج يزودون ذويهم بالمال والمواد والأدوات الأخرى.
2. مزاحمة العمالة الآسيوية في الأجور وتعذر العمالة العربية نتيجة المنافسة.
3. صعوبة تسهيل تصاريح العمل للعمال العرب بدخول فلسطين 1948م.
4. مشاكل المواصلات والحواجز التي تعيق حركة التجارة وعواملها المدمرة للاقتصاد الفلسطيني المدمر والمتجدد في القهر من الاحتلال.

وقد سمعت جهود كبار المزارعين وكبار تجار بلدة طرعان وكفاحهم تنشيط الزراعة والصناعة، مع كبار المسؤولين في إمكانية خلق مشاريع اقتصادية يمكن تنفيذها في رفع مستوى الحياة للمواطنين العرب، وأن عندهم من الكفاءات أكثر من غيرهم حكام البلاد، وهذا ما عبر عنه السيد عبد السلام محمد دراوشة في لقائه مع وزيرة الزراعة الإسرائيلية عند زيارتها للبلدة.

تعتبر أشجار الزيتون أحد أهم المعالم والرموز في بلادنا المقدسة وأقدمها، حيث وردت سيرتها في الكتب السماوية، إضافة إلى كونها رمز السلام، كما أن هناك إجماعًا من قبل جميع الديانات على فوائد زيت الزيتون وقدرته على الشفاء وطرح البركة، كما تُنسب إليه ميزات خارقة.

فإن زيت الزيتون يساعد في الطب الوقائي، إذ يساهم في تقليل مخاطر أمراض القلب وذلك لوجود نسبة عالية من حمض الأوليك، ويساعد على تنظيم الكولسترول في الجسم، ويكافح النوبات القلبية والجلطات، إلى غيرها من الفوائد.

تتمتع شجرة الزيتون بعمر مديد، حيث يعتقد أنها قد تعيش بين (1000–2000) سنة. وتتواجد أقدم شجرة زيتون في دير حنا في الشمال، عمرها 980 عاماً وقطرها حوالي 9 أمتار، وتنتج 20 ليتراً من الزيت سنوياً.

يقول الباحث يغئال سيلع: "إن تربية الزيتون كانت في أوجها في العهد البيزنطي في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، حيث تقدر المساحات المزروعة بأشجار الزيتون بمليوني دونم، تبقى منها ربع مليون فقط. ويتواجد حالياً مليون دونم من الأراضي المزروعة بهذه الأشجار داخل الأراضي الفلسطينية، غير أن زراعة معظمها تمت ابتداءً من عام 1920 وبصورة مكثفة أكثر بعد عام 1948.

زيتون فلسطين المحتلة

فلسطين غنية بأصناف الزيتون التي تختلف استخداماتها مع اختلاف أسمائها: فمن "السوري" إلى "النبالي"، مروراً بـ"برنيع" و"محسن" وغيرها. غير أن الصنف السوري مفضل للمخلل على شكل ثمرة أو الزيت المستخلص منه الذي يتسم بطعم لذيذ وحاد، ونكهة قوية تأسر الحواس. وعلى الرغم من إطلاق لقب سوري على هذا الصنف من الزيتون، إلا أن العارفين بالأمر يؤكدون أن أصله هو من مدينة "صور" في منطقة جنوب لبنان.

يبلغ حجم إنتاج زيت الزيتون في البلاد سنوياً 20 ألف ليتر، وهذا يكفي لسد الحاجة المحلية، حيث يستهلك معدل 3 كيلو من الزيت مقابل 9–10 لترات يستهلكها الإسباني و22 لتراً يستهلكها اليوناني. لا تعتبر الزراعة في بلدة طرعان مصدر رزق أساسي للمزارعين، وإنما كدخل جزئي إضافة إلى أعمال أخرى بما فيها العمل الزراعي في المستوطنات الزراعية الصهيونية.

المراجع:

(1) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير، مروان الماضي.
(2) الموسوعة الفلسطينية، عام ج2، مصطفى الدباغ.
(3) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير، مروان الماضي.

الفصل الرابع

التعليم وأعلام بلدة طرعان

لم تحظ قرية طرعان بالتعليم زمن الحكم العثماني كغيرها من القرى في منطقة طبريا، مثلها كمثل كل القرى التي كانت تحكم من قبل السلطة العثمانية، ولم أعثر على دلالات عن التعليم زمن الحكم العثماني سوى "السالنامات" (الكتب السنوية الرسمية) التي كانت تصدرها هيئة المعارف، أخذت منها مصدراً يوضح أعداد الطلاب، وقد استعنت بسالنامة لمنطقة عكا كنموذج لحالة التعليم في سناجق أخرى. وقد بدأت مراسيم التعليم من قبل دائرة التعليم العثمانية (السالنامة – وزارة المعارف) بأول مرسوم عام دراسي 1882/1881م يبين عدد المدارس (المكاتب) وعدد الطلاب:

المكان	عدد الطلاب (ذكور)	عدد الطلاب (إناث)
قرية الرامة	80	90
قرية كفر ياسيف	40	40

اللواء	الطائفة	نوع المكتب	عدد الطلاب
عكا	روم أرثوذوكس	رشدى (إناث وذكور)	72

جدول يتناول المدارس غير الإسلامية في لواء عكا

التعليم زمن الانتداب البريطاني على فلسطين

لقد تأسست مدرسة ابتدائية في طرعان حتى الصف الرابع عام 1939/1938، وفي عام النكبة لم تكن المدرسة مكتملة الصفوف الابتدائية فيها.

لم تكن دولة الانتداب جادة في تعليم أبناء فلسطين، لأن هدفها الأسمى كان تحقيق وعد بلفور في إقامة دولة يهودية في فلسطين، وركزت بريطانيا على مد الطرق المعبدة منها والحديدية، ثم إقامة المطارات والموانئ البحرية ومصفاة بترول حيفا، ثم إنشاء طرق معبدة للمناطق الاستيطانية ومستعمراتهم وبناء المعسكرات لإيواء أكثر من 60 ألف جندي بريطاني، وكانت ميزانية التعليم متواضعة نصفها يدفعه أهالي الطلاب من شعب فلسطين. ومن الأبحاث التي أجرتها على دور طرعان في التعليم وجدت أن أهلها مولعون بالتعليم، وأن التعلم لم يبذل له ما يستحق من حرص لبناء جيل واعٍ نشط عن طريق دراسات تربوية ذكية ومعمقة تشارك بها الأسرة معززة بالوسائل المطلوبة تتماشى مع المناهج التي ترعى سلوك الطلاب وبناء الأفضل لتربيتهم، وقد أعدوا الكفاءات من المعلمين والمعلمات وربطوا بين المدرسة والمجتمع، كما أعدوا الطريق لبناء أجيال تقود المجتمع إلى التمسك بهويته والتواصل مع المجتمعات الأخرى بدون تعصب وتمييز.

هناك العديد من المدارس في مراحلها الثلاث مثل:

- مدارس ابتدائية: 1724 طالباً وطالبة.
- مدارس إعدادية: 805 طالباً وطالبة.
- مدرسة ثانوية: 60 طالباً وطالبة.
- مدرسة ثانوية فنية تكنولوجية: 150 طالباً وطالبة.

كما يوجد من حضانات الأطفال:

- الحضانات التمهيدية وحدة ما قبل المدرسة.

- إجمالي روضات الأطفال (الحضانات): 500 طفل وطفلة.
- روضة أطفال لغوية: 10 أطفال.
- رياض أطفال إلزامية: 10 حضانات، مجموع عدد طلابها وطالباتها 313 طالباً وطالبة.

الانتداب البريطاني:

حكمت بريطانيا فلسطين 30 عاماً، تغدق الأموال على مشاريع ضخمة، حيث بنت ميناء حيفا بتكلفة ثلاثة ملايين وأربعمائة جنيه إسترليني (وقيمة الجنيه كانت ليرة إنجليزية ذهب)، كما بنت مصفاة بترول حيفا وكانت أضخم مصفاة في الشرق الأوسط، مدت لها خطوط النفط من كركوك بالعراق إلى حيفا عبر سورية والأردن، كما بنت مطارات مدنية وعسكرية منها مطار اللد الذي سماه الصهاينة مطار بن غوريون في مدينة اللد. والجدول التالي يبين لنا ميزانية التعليم خلال أربع سنوات متتابعة:

العام الدراسي	دائرة المعارف	نفقات عسكرية	مصروفات إدارية	مشاريع جديدة
1939/1938	%5	%19	%32	%44
1940/1939	%6	%18	%30	%46
1941/1940	%5	%18	%35	%42
1942/1941	%3	%22	%32	%43

من دراسة الجدول نرى التفاوت في النسبة المئوية لدائرة المعارف (التعليم)، وكيف انخفضت ميزانية التعليم على نفقات الدولة، حيث دمر الألمان لندن بغارات الطيران، فجرى التخفيض بالتعليم وليس في مجالات أخرى، مما يدل على نية بريطانيا عدم مساعدة الفلسطينيين، بل حاولت في سياستها إذلال شعب فلسطين، فقتلت الآلاف وسجنت عشرات الآلاف وجرحت مثلهم ودمرت البيوت ومنعت التجول في القرى، إذ كانوا على الدوام يغيرون على القرى بمجرد وصول أخبار عن المقاتلين، وكانت المشانق في سجن عكا مفتوحة لإعدام واحد أو اثنين أيام الثلاثاء من كل أسبوع.

شخصيات بارزة من بلدة طرعان

محمود قاسم عيساوي، وهو معلم ومربي، وشخصيات أخرى بارزة من عائلات مختلفة في البلدة.

محمود قاسم عيساوي

لد عام 1925، وتلقى تعليمه في طرعان والقدس، وتخرج من الكلية الرّاشديّة عام 1944، وعمل مدرسًا لاحقًا.

المراجع

(1) بلادنا فلسطين، ج1، ق2، ص 256، مصطفى الدباغ.
(2) الموسوعة الفلسطينية، ج2، ص 165، نقولا زيادة.
(3) الموسوعة الفلسطينية، ج2، ص 772، مصطفى الدباغ.
(4) الموسوعة الفلسطينية، ج2، ص 881، مصطفى الدباغ.

الفصل الخامس

الحياة الاجتماعية في طرعان

(الغناء أنواعه، ومراحل الزواج خطواته، الأمومة والألعاب)

الفولكلور الفلسطيني

الغناء أنواعه ومعانيه

الغناء: هو صناعة في أداء الألحان المصحوبة بالكلام الدال على المعاني، وتشترك الأمم في العادة على اختلاف فطرتها وتطورها الحضاري، وهي ظاهرة طبيعية إذ أن حنجرة الإنسان تتكون من أوتار متفاوتة، والفرد العربي غناؤه بطريقة فطرية لا شعورية تجعل أوتار صوته تهتز على مداها الكامل، فيصدر الصوت وكأنه خارج من الصدر، ويُلقب مثل هذا الصوت تقنياً بالصوت الصدري. أما الغربيون فيختلفون في الطريقة، يهزون بطريقة مدروسة اهتزازاً بأجزاء من أوتار الحنجرة فقط مع ارتخاء في الحلق وتنفس من الأنف، ويعرف هذا الصوت بصوت الرأس. وقد حدد خبراء الفن أنواع الأغاني العربية بما يلي:

1. **التحنين** :أغاني للحجاج.
2. **الندب** :تقوم به نساء محترفات تعبر عن الحزن.
3. **المطوعة** :أغنية الزفاف للمرأة البدوية.
4. **القصيدة** :ذات القافية الواحدة في الطرفين الثالث والرابع.
5. **الموال** :على نوعين (موال مصري وموال بغدادي).
6. **العتابا** :اعتبرها موالاً ذا أربعة أسطر.
7. **الهلابا** :شطران ينتهيان بكلمة "هلابا"، كذلك مطالع المعنى والقريدي.
8. **الجعيدي** :نسبة لشاعر مصري معروف بجعيد.
9. **الزجل** :ومن مميزاته إعطاء الكلمة الأخيرة في الشعر عنوانه، مثل الميجانا – موليا – زينة – هويدلي.
10. **الترويد** :تعني في الأعراس ولدى البدو وعند حلب المواشي.
11. **الحداء** :غناء أثناء رعي أو قافلة الجمال.

12. **أهلالا** :وتغنى في الكروم، كما تشمل الشوباش ثم الزغردة وتقال (إيها) في شمال فلسطين و(آيها) في جنوبها(1) .

ومن العراقية الموال البغدادي والميجانا، ومن البدوية، وإن أكثرها انتشاراً من الأغاني في كل القرى بفلسطين هي "الدلعونة"، وتأتي على طريقتين في الأداء يلتزم بأحدها عازف الناي أو المجوز أو الربابة المنفرد.

أما فيما يتعلق بالمغني فلا بد أن يكون ذا موهبة موسيقية وحس مرهف وقدرة على الارتجال لحناً وتضميناً، وبالنظر إلى عدم وجود مكبرات الصوت قديماً كان المفروض أن يكون المغني صوته عالياً جهورياً قوياً، ومن مؤهلات المغني أيضاً أن يكون ذا ذاكرة قوية يحفظ الكثير من الأغاني والأشعار. وفي الأعراس عادة يبرز إلى الساحة شاعران للمناظرة والتحدي حول موضوع معين، مثل الفلاحة والمدنية، والبيضة والسمرة، والعلم والمال، والكرم والبخل، والسيف والقلم وغيرها، والكثير منها ما يحدث في السحجة. وقد تكون الخلفيات الاجتماعية للأغنية الشعبية في ظروف المجتمع وعاداته وتقاليده، من البداوة إلى الزراعة وحياة المدن، إذ تبين العادات التي تركز على الأسرة كوحدة تقليدية، فالأسرة تعتز بأمجادها وتحاول دوماً أن تحتكر المكانة الاجتماعية في مجتمعها، كما أنها تعتز بصلاتها الدموية ثم تماسكها الوحيد ضمن إطارها (أنا وابن عمي على الغريب)، والزواج بنظرهم هو اتحاد بين أسرتين أكثر مما هو اتحاد الزوجين، وتحتل عصبيات الأقارب القائمة على تفضيل ابن العم حتى على ابن الخالة، وما ينتج عنه من مشاكل وإضاعة للفرص المفضلة للعروسين فيما ترك لهما حق الاختيار.

ابن العم يا شعر على ظهري إن حال الموت لا رده على عمري ابن العم يا نوبي علينا إن حال الموت لا رده بأيدينا

وفي حال **زوَّج الأب ابنته من غير ابن عمها** طمعاً منه بمهر أكبر فتقول الأغنية:

يا ابن العم يا كومة تراب يا ابن العم أخذوهم الغراب يا ابن العم رميتك للضبوع بنات العم أخذتهم السبوعة

والفلاح يشارك جاره في السراء والضراء متمنياً الخير لجاره:

والجار أولى بالشفعة

الجار ولو جار – وقيل من أدرى بحالك؟

والجواب ربك وجارك.

وتغني النسوة عادة فيزغردن ويقلن:

ها هي يا جار المجاورني

ها هي يا جار الرضا، ما انت جار خواني

ها هي ما انت طلّاع ع حيطان جاراتك

وعصبية الجاه والمركز وآثارها الاجتماعية إذ أن للطبقة أثرها في الفرد الفلسطيني، وأغلب الأسر الفلسطينية كانت في الماضي تعيش على هامش الحياة الزراعية، وهناك طبقات من الأثرياء والتجار وملاكي الأراضي والعقارات، وكثيراً ما تشير الأغاني الشعبية إلى هذه الفروق، فيتباهى أصحاب الجاه بما لهم من نفوذ كما تتفاخر نساؤهن بلبسهن الثمين، ويقال:

يا بو العروس نلبس ملوكي لفت عليك الأمارة والدراويش

ريدونا ريدونا نسايب لا تزعلونا

عادتنا نلبس شنابر ما بتناسب إلا الأكابر

ردونا ردونا نسايب لا تزعلونا

إن أغلب الأغاني الشعبية في منطقة المثلث متشابهة ومتكاملة، وكذلك مفردات الفولكلور الفلسطيني لأن الجذور واحدة والمنطقة مشتركة والعادات متكاملة الكم والنوع.

وعن **الغربة الطويلة يقولون:**

وأغمس ريشتي في قلب قلبي وأدمي وجه مغتصبي بحد سكيني

وإن كسر الردى ظهري وضعت مكانه صوان حطين

وتأكيداً على الهوية الفلسطينية يدعو معين بسيسو إلى الحذر:

يا جلدنا حذار يا وجهنا حذار

يا وجهاً الذي أراه كلما استدار وكلما أوشك أن يصير بدراً

أطلقوا عليه النار

وصورة الوطن لسميح القاسم وهي متعددة، إحداها:

قامرت في ملهى السنين، خسرت جوهرتي الفريدة في مزاد الآخرين، وبكيت في أسف وأخفيت دموعي، ودفنت في صمت أزهاري

ورجعت للبيت الحزين أبكي على جدرانه وأبوح بالسر المعين

ومن المواويل:

على فراق الولف قلبي لواني صرت مصدوم واتغيرت ألواني

يا ريتني عقد والصايغ لواني مخبأ بين نهديك والثياب

ومن المواويل الموزونة وارتباطها بالبحر الوافر:

يا طولك طول الزان لو مال يا شعرك حيد والجدال لو مال

وبوكي لا قيل أرضاً ولا مال أكيف الرأي عندك والجواب

المواويل وما يتعلق بالأرض:

حراث يا عمي رمي على البقر رمي

وكم مليحة تقول للنذل عمي

حراث يا خالي لا لي عا إبقر لا لي

وكم مليحة تقول للنذل خالي

أما مخاطبة المنجل:

منجلي يا منجلاه راح للصايغ حلاه

منجلي يا بو الخرافيش طاح بالزرع يطاحن

منجلي يا بو رنة وأنا جبته من غزة

وعن قطف الزيتون:

يا زيتون اقلب ليمون اقلب مسخن في الطابون

يا زيتونة بو مري هر لي بلح هرلي

يا زيتونة بو عرموش هر لي ذهب وقروش

ومن غناء الرعاة التي تتحدث عن الراعي الذي ترك مهنته ثم عاد بعد وقت طويل:

طلبن الغنم من قرنة الزنار عرفت الغنم وأغشمت هالرعيان

طلبن الغنم من قرنه الوادي عرفت الغنم وأغشمت الراعي

أما دعاء طلب المطر:

يا رب ما هو بطر بنطلب منك

يا رب ما هو غية بنطلب منك ميَّه

يا رب مطر مطر حتى نسقي هالبقر

يا رب رشاش رشاش حتى نسقي هالجحاش

وغناء البناء والبنائين:

صلى الله عالزين الهادي ومعانا مدوا الأيادي

ثم يغني أصحاب البيت لمعلم البناء:

إعطوا المعلم عقاده ما طلب اعطوه عكا مع حلب

يا معلم مبروكة الدار بيكبروا ويسكنوعا الصغار

أما علاقة الفلسطيني بالبحر:

فلان نزل البحر وبيده كيلة يا رب يرجع لها العيلة

فلان نزل البحر وبيده بريق يا رب يرجع سالم من هالطريق

فلان نزل البحر ولح محرمته يا رب يرجع سالم لحرمته

وينشد الصيادون سواء على الشاطئ أو في عرض البحر:

واجي طولك على طولي بلا قيس وبحر حايط الدنيا بلا قيس

وحق مين خلق الدنيا بلا قيس قلبي ما هوى غيرك حدا

بالنسبة للدلعونا: تمتاز بأوزان خاصة وقد عرفت الدلعونا في جميع أنحاء فلسطين، ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه فيقول:

على دلعونا على دلعونا نسم يا هوا الغرب الحنونا

والله إن متت ياما إقبروني بأرض بلادي بفي الزيتونا

وزريف الطول: يقوم الشعر على نفس نمط الدلعونا على مجزوء بحر الرمل.

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك ياللي رابيي بدلال أمك وأبوك

يومن جانا الخبر إنهم خطبوك شعر راسي شاب وقلبي انكسر

أبو الزلف الجفرا:

وهي أغنيات الدبكة، إذ تلتزم هذه الأغنيات في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع ألف ممدودة.

عالعين يا أم الزلف عين الزلف ليا

قلبي جرحه الهوا وين الدوا ليا

جفرا ويا هالربع عالبير نشالي

يا زنّارا بالطقم فوق الطقم سالي

الأغنية الشهيرة للعريس (عريسنا عنتر عبس) يرددها الرجال في موكب الزفة أثناء مسيرهم:

عريسنا عنتر عبس عنتر عبس عريســـــنا

عريسنا زين الشباب زين الشباب عريسنا

عريسنا ابن الكرام ابن الكرام عريســـــنا

واللي يعادينا نذبحه ونقطعه بسيوفنـــــا

وللزجل أنواع شائعة في الشعر الشعبي العربي:

بدنا نحكي بدنا نقول ما بدنا حكي وطبول

بدنا نحرر بلدنا هذا الكلام المعقول

وكما في الزجل فإن المعنى يؤدى من قبل مغنٍ أو اثنين، ويسيطر على المغنى جو عاطفي حزين.

قال المثل عمر الأسى ما بنتسى شط بحر الفن مركبنا رسا

يللي بلأمس جنحه انكسر حاول الفرار أو ريشه كسا

والعتابا: وهي الأغنية الشعبية المفضلة في بلاد الشام وتحتل المرتبة الأولى بين ألوان الغناء الشعبي في فلسطين، ويمكن أن تغنى العتابا

بدون موسيقى أو برفقة الناي (النشابة)، وهذا النوع أكثر شيوعاً في الجليل في الغزل وقيمة المكان، يقول:

نزل دمعي على خدي من الرأس على اللي زمَّل الجرة على الرأس

انسوا ديرة بعلبك مع الرأس وحنا كروم زحلة والعنب

يتمنى الشاعر عودة كل غريب إلى بيته وبلده لعله يجتمع بمن يهوى:

زرعت الهم في قلبي ع بيته يا رب ترجع الغائب ع بيته

بأنا شاعر وبيدور عبيته بالسطرين غاب ســـــــقا الله

يوم كنتم لنـــــا قراب نشرب منابعكم والقراب

ما تقولوا لنا أهل وقراب لهم أحباب بيوفوق السحاب

يوم الأرض:

ليوم الأرض يا هالعرب عدوني صهيون عاس خنين عدو

سبع شهدا بالبلدين عدو وقنابلهم بعرابة لها عدو

وعن تشريد شعب فلسطين ولجوئه للمخيمات والكهوف بقوله:

شعبنا اللي سكن مغر ومخيمات لقى علقات مرات وخيمات

إذا استشهد أخو من الأسرة ومات قصي فيل:

بنام الليل أحلم في حرمن ادنا منها انحرمنا

بني صهيون أحرقوا حرمنا للعار عاكل العرب

الرقص الشعبي في طرعان

مناسبات الرقص الشعبي هي نفسها مناسبات الغناء الشعبي، وتتجلى كما يلي:

1. **الدبكة** :وهي رقصة شعبية تعم بلاد الشام كلها، وهي أنواع، منها الدبكة الشمالية، والطيارة، والعرجاء والفتوحية والفرادية (الكرادية) والسبعاوية والمثلوثة. وعلى سبيل المثال فإن الشعراوية تشبه بالدبكة الشمالية وتقتصر على الرجال بسبب عنفها، وهي السائدة في شفاعمرو وقضائها، وتختلف الكرادية عن النموذج العام للدبكة الشمالية بعدم وجود ملوّح فيها، وباشتراك النساء فيها بكثرة، والدوائر هي الشكل الذي تتخذه حلقة الراقصين، ويتوسطها عازف الناي. ويفيد أكثر من مرجع أن دبكتي الطيارة والخليلية تمتازان بالرشاقة والحركات المجهدة وأنهما تحتاجان إلى مزيد من الانضباط والدقة في الرقص.

2. **السامر** :وهو يمثل الحفلة الشعبية الساهرة التي تقام بمناسبة العرس، ثم صارت كلمة السامر تطلق على ذلك النوع من شعر المواليا الذي يؤدى بطرق جماعية بالتناوب بين فريقين. ويتبنى هذا الرقص (السامر) مناطق جنوب فلسطين، أما في شماله فيقال له السحجة، يلازمها مغنٍ، يلتزم بجناح في السحجة ويغني آخر في الجناح الثاني، وتبدأ المباراة (الأغاني) بأشعار شعبية لها أوزان، يقابله الفريق الآخر بأشعار بنفس الوزن. وعادة تهدف هذه الأغنيات إلى مفاهيم مثل الكرم والبخل، والشجاعة والخوف، والغنى والفقر وغيرها...إلخ.[1]

الزواج والعادات المرتبطة به

(الأفراح والأتراح والغناء، الزواج ومراحله والأعراس)

من سلوكيات مختلفة بعض الشيء، تقوم الأم وبناتها بالتفتيش عن الفتاة التي تليق بجنابه، ويتم الاتفاق مع أهل العروس دون أن يرى العريس فتاته أو تراه. وبعد الاتفاق على الإجراءات (من مهر مقدم ومؤجل عند المسلمين) يذهب ثلة من الرجال إلى بيت أهل العروس لخطبتها رسمياً، وتبدأ الخطوات بالخطبة وتتجلى بعادات وتقاليد الناس في البلد، أهمها الأفراح:

- **الخطبة** :من المتعارف عليه أن أهل العريس هم الذين يتولون اختيار العروس والخطبة والزفاف، وتتم الخطبة عندما يقتنع الشاب بالفتاة التي اختيرت له، مع العلم أن العريس في كثير من الحالات فيما مضى لم يرى العروس ولم يسبق له أن شاهد فتاته أو تكلم معها، لأن هذا كان محظوراً وغير مرغوب فيه حسب التقاليد والأعراف البالية. وفي بعض الأحيان يترك الشاب لأهله (أمه وأخواته) البحث عن الفتاة. ويستقبل أهل العروس وفد الخطبة بالترحيب والتكريم، ثم تقدم القهوة لرجل وهو وجيه الخطبة، فيأخذ الفنجان ويضعه جانباً ويبدأ بتحية الجميع ويطلب الفتاة من وكيلها. وكان في الماضي تتم الخطبة بكلمات وجمل مفيدة، بينما تطورت الخطبة هذه الأيام إلى محاضرة تشيد وتمتدح خصائل العائلة والمجتمع، ويكون الحديث طويلاً حقاً كما وجدته في عمان مثلاً. وقد قرأت فيما مضى خطبة عم الرسول صلى الله عليه وسلم (أبو طالب) ليخطب خديجة بنت خويلد بقوله: "الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن ابن أخي محمداً من لا يوصف به أحد من شباب قريش إلا ورجح عليه عقلاً ونبلاً ومروءةً وأمانةً، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعلي". ويتم العطاء وتقرأ الفاتحة على نية الوفاق والتبريكات، وعندها يشرب الطالب فنجان القهوة ويشرب الحضور أيضاً. عندها تسمع النسوة الموافقة، فتأخذ النسوة بالزغاريد والغناء والتبريكات، ويقدم الشراب. ومن الأغنيات التي تقال:

ع الزنزلخت ع الزنزلخت ريتك يا حلوة من حظي وبختي

بدك أبادلك ببادل بختي بدك مصاري بدفع مليونا

ثم تردد أغاني معاناة الشباب من غلاء المهر فيقولون:

على دلعونا يا مدلعنية وصاروا يطلبوا في البنت مية

صاح العزابي يا بَيَّه منلّى مصاري أجيب المزيونة

- **التحضير للزواج** :يدفع الشاب مهر عروسه حيث الاتفاق، ويقوم أهل العروس بشراء الحاجات لابنتهم من ثياب وحلي وفرش وغيره. وكثيراً ما كان المهر يرهق الشباب ويثنيهم عن الزواج لفداحة النقد المطلوب. وقبل حفل الزواج تنقل أغراض العروس إلى بيت العريس بواسطة النسوة، إذ يحملنها وهي موضوعة في صناديق وصوانٍ وأطباق وبُقَج وهن يرددن الأغاني في زفة من بيت العروس إلى بيت العريس.
- **حفلات الزواج** :تقام السهرات ويقال لها "التعليلة"، وذلك مساء كل يوم ولمدة تتراوح بين ثلاثة أو سبعة أيام، وهي فترة إعداد العروس للزفاف من تجربة للألبسة والحناء والزينة. كما يسهر الذكور على ضوء القمر أو مصابيح (لوكسات) ويتدربون على الأغاني والدبكة. ويسبق كل ذلك دعوة المعارف ووجهاء القرى المجاورة لحضور الحفل، إلى جانب دعوات أهل القرية من رجال ونساء. وفي يوم العرس تأتي وفود المدعوين من مناطق متعددة وهي تحمل معها الهدايا، وغالباً ما تكون ذبائح أغنام وأكياس سكر وأرز وقهوة وغيرها من المؤن المطلوبة للعرس.

ينهمك أهل العريس وأقرباؤهم في استقبال الضيوف وإعداد الطعام من ذبح الخرفان، وتقام الموائد ويتناول الضيوف طعام الغداء. وعند العصر تبدأ مراسم الدبكة والغناء وسباق الخيل، وأحياناً المنافسة في رمي الرصاص لإصابة الهدف.
ويكون هذا الحشد من الناس فرصة لتمتين عرى الصداقة والتعارف بين الناس، وفي كثير من الحالات تحل مشاكل وتوثق علاقات بين الأسر.

تغني النساء أمام العروس أثناء خروجها إلى بيت عريسها بأغنيات بقولهن:

يا محمرة يا مبودرة وألفين حق الكندرة

حلفت يا فلانه ما بطلع إلا الحاملة حاضرة

ومن أغاني الزفاف الشهيرة للعريس يرددها الرجال في مواكب الزفة في مسيرهم يرافقون العريس إلى بيت العروس بقولهم:

عريسنا عنتر عبس عنتر عبس عريسنا

عريسنا ابن الكرام ابن الكرام عريسنا

عريسنا زين الشباب زين الشباب عريسنا

واللي يعادينا بنذبحه ونقطعه بسيوفنـــــا

ويركب العريس على حصان مكتمل العدة، ويُحَلَّى صدر الحصان بالقلائد والحلي، وأغلبها من الذهب الخالص المزخرف، ويُحمل بالحلي الذهبية من رأسه حتى صدره، وكذلك الحال حصان العروس. ومن الزغاريد التي تحيي أرباب الأسرتين وتمجدهم وتشير إلى مكانتهم، وعلى غرار التقاليد العربية (المهاهاة التالية):

إيه ويها يا بو فلان لا ترخي الحبل فينا إيه ويها ولا تشمت بنا شامت إيه ويها ويها حنا إن رحلنا جعلناك الدلو، وحنا إن نزلنا جعلنا بيتك الغالي

العتابا: تتضمن العتابا معاني ومفاهيم للقيم الاجتماعية وتستخدم الفخر والمديح، وأكثر العتابا تأخذ جانب الغزل بقولهم حول صيد الظباء الأنسية والتي حفلت بها الأغاني. وفي كثير من الأحيان تتحدث عن الصياد العاشق وعن الغزال الشارد والحمامة الجميلة. وقد أصابت الغزلان قلوب العاشقين بقولهم:

ثلاث غزلان ناحي العين ماضين بقلبي ناصبات العين ماضين

كشف الطبيب جرحي وقال ما ظن يطيب مجروح الهوى

ونرى العاشق متيماً بجمال فتاته التي جمعت القوام الرشيق والشعر المائل، والعاشق محتار معذب بعدما رفض والدها طلبه فيقول:

يا طولك طول عود الزان لو مال حير الجدال لو مال

وبوكي لا قبل فضة ولا مال أكيف الرأي عندك والجواب

إن الأغاني كثيرة عديدة متنوعة، وكل منها معانيه ولحنه منها.

زريف الطول ودلعونا: ويتغزل المغني بحبيبته التي عاشت بدلال أمها وأبيها، ولكنه يفاجأ بخطبتها لغيره فيقع عليه النبأ وقوع الصاعقة فيقول:

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك يللي رابيه بدلال أمك وأبوك

يومن جانا خبر أنهم خطبوك شعر راسي شاب وظهري انكسر

ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه فيقول:

على دلعونا على دلعونا نسم يا هوا الغربي الحنونا

بالله إن متت ياما اقبروني بأرض بلادي بفي الزيتونا

الغزيل: وهي تسير على نمط مماثل، فهي أغنية قصيرة تتألف من بيتين من الشعر، وتتفق الأشطر الثلاثة الأولى بقافية واحدة، بينما تختلف قافية الشطر الرابع والأخيرة، وتنتهي بالمقطع (با) وهذا ناتج عن عبارة "أهلاً."

يا غزيل يا بو الهيبا يا غادي يا معذبا

زرتونا وشرفتونا أهلاً وسهلاً ومرحبا

وفي الأعراس تقام الدبكات والسحجات، ويأتي الحداؤون (الشعراء) ويلقون أشعارهم الغنائية التي تتناول المدح والذم والافتخار والغزل، وجميع أصناف المصطلحات والمفاهيم القيمية.

وقد جرت العادة أن يقف الشاعر أمام صف مستقيم من الرجال ينشد أغانيه، ويقف الشاعر الثاني مواجهاً الأول، ويتباريان بالأقوال الموزونة بمواقف حيوية معينة، على سبيل المثال السمرة والبيضا، وينتصر الرجال لأي فريق، وفي كثير من الحالات يؤيد الجميع الأفضل.

وفي حالات كثيرة تتداخل النعوت السيئة والألفاظ البذيئة وتصل إلى العراك بين المناصرين للشاعرين.

ومن هذه الأغنيات:

قالت البيضا اسم الله علينا يا ورد مفتح حوالينا

يللي سافرتو عودوا الينا لا تطيلوا لجفا تزيد الهموما

السمراء:

قالت السمرا واحنا الهرايس واحنا المحارم بيد العرايس

روحي يا بيضا يا لبن ما يص واللي بيهواك يصبح مجنونا

ترد البيضاء:

يا ميخذ السمرا ويش بدك فيها يا رمل البحر تنو يجليها

في البير الخارب ووالله ارميها واحكم عليها حكم فرعونا

أبو الزلف: هي أغاني الدبكة، تلتزم هذه الأغنيات في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع الألف الممدودة.

عالعين يا أبو الزلف عين الزلف ليا

قلبي جريح الهوا وانتي الدوا ليا

جفرا ويا هالربع عالبير نشالي

يا زنّارا بالطقم فوق الطقم شالي

ولادة المرأة:

عندما تلد المرأة تخرج القابلة لإعلان النبأ، فإن كان المولود ذكراً تعبّر الزغرودة عن الفرح والسعادة بخلاص الأم ونجاتها.

إيه ويها جابت وقامت إيه ويها وع فراشها ما نامت

إيه ويها ولك الحمد يا رب أيه ويها وما تشمت فيها شامت

وفي غناء آخر للمولود يقولون:

إيه ويها يا بلبل على الشجر إيه ويها عيش وأكبر يا ذكر

إيه ويها يا عطية ربنا إيه ويها وما نال إلا اللي صبر

وقد تلجأ المهاهاة أحياناً إلى التعميم، فلا تذكر المولود ذكراً أم أنثى، وإنما تقتصر على دعاء بشفاء الوالدة وقيامها بالسلامة:

إيه ويها وقفت حمامتنا إيه ويها وبقلب طاقتنا

إيه ويها لا فرحنا ببنت وصبي إلا بسلامة حبيبتنا

تنويم الطفل: تحاول الأم هز السرير الخشبي في الماضي أو المرجوحة وتأخذ بالغناء، ويدعى "هدهدة:"

نامت عيونك وعيون الحق ما نامت

وما ظلت شدة على مخلوق ودامت

ويقولون أيضاً:

للي له يا حمامة هللي له تنام

وافرشيله الأخضر والوسايد وريش النعام

ترقيص الطفل: وترتبط بنمو الطفل وفق ما تدرك الأم أن الوليد يتحمل اللعب والترقيص، وذلك بوضع يديها تحت إبطيه ورفعه إلى أعلى بحركات ترافقها أغنية كالتالي:

ميمته يا ميمته يا ربي تخليه

وتخليه لمويمته وتكحلله عينيه

وإن شاء الله بيكبر وبيحميي هالشياب

ويحمل على جنبه سيف وجراب وشبرية

أغاني الختان: وهي متنوعة، وليست هناك أغنية متخصصة، فالأم تغني ما يحلو لها من مهاهاة وأغانٍ عامة، غير أن هناك أغانٍ بهذه المناسبة تتكرر مثل:

طهروا يا شلبي وناولو لأمه يا دموعوا لغالية نزلت ع كمو

ومطهريا مطهر امسح بالشفرة لا توجعلي رياض ابن الإمرا

اللعب مع الغناء: تتناسب هذه الألعاب مع سن الطفل، وعندما يصبح الطفل قادراً على فهم ما يقوم به، يؤدي الأب والأم بعض

الأغاني ترافقها الألعاب، منها مثلاً:

يا منيمسة يا منيمسة يا حبة القريمشة

بعثتني معلمتي اشتري راس البصل

وقع مني وانكسر بوق بوق

يا أم الحلق والدبوس قيمي إيدك يا عروس

وهناك لعبة تداعب الطفل بعد المشي، إذ يحمل الأب طفله على ظهره، تقوم الأم بينما تلف الأم ياه حول رقبة الوالد فيقول الأب: أنو فوقي؟ ويرد الطفل: عبد الطوقي. الأب: شو بدو؟ يرد الطفل: حمص مقلي. وينزل الأب طفله قائلاً: طيح نقي.

أغاني الشتاء: يجتمع الأولاد عند نزول المطر ويضعون على رؤوسهم أكياساً من الخيش (القنب) لتقيهم من المطر ويقولون:

شتي يا دنيا شتي على صلعة ستي

ستي جابت صبي سمته عبد النبي

حطته بالطنجرة طلع صحن مجدرة

حطته بالبير طلع راسه كبير

وهناك أغنية عند سقوط المطر يغنيها الأطفال وهم في حلقة دائرية:

شتي وزيدي بيتنا حديدي

عمنا عبد الله كسر الجرة

شتي وزيدي على طريق سيدي

سيدي بالمغارة ذبح قطة وفارة

سيدي في البرية بيطبخ لبنية

وهناك ما يغنى في الأعياد:

بكرة العيد بنعيد بنذبح بقرة السيد

والسيد ما له بقرة بنذبح بنته ها الشقرة

ومن **الأغاني القديمة بدوية المصدر:**

يا طيور طايرة يا مراكب سايرة

سلمي ع أمي وأبي وقولي جبينة راعية

ترعى غنم ترعى سخول وتقيل تحت الدالية

وتدخل مثل هذه الأغاني في الحكايات (الخراريف).

ومن **الأغاني التي يرددها الأطفال عندما يتأرجحون:**

هز التين يا وروار بعده التين ما نور

ما نور إلا الزيتون يا زيتون احمل ليمون

ومن الألعاب التي ترافق الأغاني:

طاق طاق طاقية، رن رن يا جرس، حول واركب عل فرس

لعبة الدائرة مع القفز: تلجأ الفتيات إلى لعبة خفيفة تضم ثلاث بنات يضعن أيديهن فوق أكتاف بعض ويقفزن معاً قفزات متوازية ويغنين:

إحنا الثلاثة سوا مثل عمود الهوا

وحدة كبيرة وحدة صغيرة

وحدة طويلة وحدة قصيرة

وحدة بترجع لورا

ومن الألعاب الأخرى السائدة للذكور والإناث:

- لعب البنات: لعبة الإكس (الحيز) والزقطة (القال) والغماية (الطميمة) والخويتمة (الخاتم والأصبع) ونط الحبل ولعبة الخمسات.
- لعب الذكور: كسر البيض – البنانير (الدحل) – لعبة الكورة – لعبة المنه – لعبة الغزة (توضع عصاة متينة في ثقب حجر ويتبادل الأولاد بضربها كل بعصاه، والذي يكسرها بعصاه يكون الفائز) – لعبة كرة القدم – وسباق الركض والسحاسيل.

الصيد: كان الكثير من الأولاد يريدون الصيد، حتى كان منهم يبتكرون أدوات جديدة لصيد العصافير مثل النقيفة أو بالفخ أو بالدبق أو بالشبك أو بالفخاخ أو بجمع الفراخ من أعشاشها، وكان البعض يستخدم ماسورة مركبة على أخمص من الخشب مثل البندقية، ويطلق السهم بواسطة نابض أو شريحة مطاط.

المراجع

(1) الموسوعة الفلسطينية، خاص ج2، حسن عليوي.
(2) الموسوعة الفلسطينية، خاص ج4، فكتور سحاب.
(3) الفولكلور الفلسطيني، ج3، نمر حماد.

التعاون، التقويم الشعبي، الطب الشعبي، الأمثال، التفاؤل، التشاؤم)

الطب الشعبي :للطب الشعبي حصته الكبيرة في تكوين المعتقدات حيال النباتات الطبية، وربما كان للمعتقدات الأثر الواضح في طقوس الطب الشعبي وعلاجه، والأمثلة كثيرة. ففي المعتقدات: تروي عجائز القرى الإسلامية عن (الدالية) أن الأسد سقاها، ثم سقاها الطاووس فالقرد والخنزير، وعندئذٍ صار من يشرب

من عصيرها شرساً كالأسد، متكبراً مثل الطاووس، وثرثاراً كالقرد أو نجساً كالخنزير. وابن آوى حيوان محتال يبلغ مبتغاه في المأثور الشعبي بذكائه وحيلته.

الثعبان: أنجس الحيوانات إطلاقاً في المعتقدات الشعبية، وذلك أن إبليس تخفى في جلده ليدخل الجنة، ويعتقدون أن الحية خالدة لا تموت لأنها تجدد جلدها كل سنة. وتحرم المعتقدات الشعبية قتل السحلية، فإذا قتلها أحد ظل ذنبها يتحرك ويدعو على القاتل.

الحرباء: غير محببة لأنها متلونة مثل المنافق. وأخبث الحشرات أم أربعة وأربعين، إذ يضرب بها المثل بالمكر والخبث.

شجرة الرمان: المباركة، ولها سلطان على الأرواح الشريرة، وكثيراً ما تجمع براعمها وتنظم في قلادة تعلق على صدور الأطفال.

شجرة الزيتون: شجرة مبجلة موقرة في فلسطين، لأنهم يعتقدون أن ولياً يسكنها، ويروى عن قريتي عاقر والنفاني أن عدداً من أشجار الزيتون تشاهد حولها ظواهر غريبة ليلة الخميس، وتسمع موسيقى غير مألوفة، وإذا هبت الريح من حولها سمعت أصوات تردد "الله".[2]

أما بالنسبة للوقاية والعلاج الشعبي:

- يقولون: درهم وقاية خير من قنطار علاج.
- عصب إصبعك مليح لا يعمل ولا يتقيح.
- إن وجعك رأسك أكرمه، وإن وجعك بطنك أحرمه.
- كل من الكافر ولا تأكل مع طويل الأظافر.

إن الطب الشعبي يلجأ للعلاج، وكانوا يعتمدون على ذوي الخبرة من الناس وأدوات التشطيب لإخراج الدم الفاسد من كاسات هواء وفصد الدم من الوريد أو مسمار كي، والقصب البري يجبر الكسور، وكذلك مزج الأعشاب كدواء.

وللبثور يستخدمون زيت السيرج (زيت السمسم) والقطران والكبريت وزيت الزيتون والحناء المجبولة بالماء والطحينة.

ويعالجون السعال بنبات البابونج، وحتى لإدرار البول يغلون الشعير والبقدونس، وللرشح يدهنون الصدر بالزيت الحامي، ويسقى المريض البابونج والزوفاء. وفي الإسهال يسقى المريض الزعتر المغلي أو الشاي الثقيل، وللإمساك ينقعون بذر الخلة في الماء ويشربونه.

أما العلاج الديني

طاسة الرعبة: وهو إناء على شكل كأس مقعر واسع الفم، مصنوع من النحاس أو معادن أخرى، منقوش عليه سورة من القرآن على الغالب آية الكرسي أو المعوذات، ويوضع فيه ماء غير معرض للشمس، ويسقى المرعوب أو المريض. وفي بعض الكاسات ينقش عليها (بإذن الله تشفي هذه الكأس من السموم). وبعض الكاسات توحي للأبراج السماوية، لأن لكل إنسان برج حسب مولده، وأحياناً لا يعرف أي برج ينتمي إليه، لذلك فإن الشرب من الطاسة يضمن المرء معرفة أي برج ينتمي. وعلى ذكر الأبراج، فإنها تختلف في ميقاتها حسب الأشهر الشمسية والقمرية، وأعتقد أن الناس هذه الأيام يأخذون بأسماء الأشهر الشمسية.[4]

وإني أسهل للقارئ حفظ أسماء الأبراج القمرية ببيتي الشعر:

حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان ووزنوا عقرباً وقوساً بجدي ومن الدلو مشرب الحيتان.[5]

من الأمثال في الطعام: يعتقد الفلسطينيون بأن الطعام قسمة ونصيب، وأن المرء لا يأكل إلا ما قسم الله له، لذلك هناك أقوال شائعة كثيرة بالطعام منها: اعزم والزم، والأكل نصيب. وأحياناً يتأخر شخص عن الوليمة فيأكل شخص آخر طعامه وهو غير مدعو، ويقال عندها: ما حدش يوكل نصيب حدا. وإذا قيل للمدعو زِدْ، فيجيب: أكلت اللي فيه نصيب. والأمثلة حول الطعام كثيرة منها على سبيل الإيجاز:

- يلعن الشارب قبل الطالب (أدب الانتظار).
- غب غب الجمال وقم أول الرجال.
- اطعم الفم تستحي العين.
- إن غاب عنك السمن عليك بالزيت (للقناعة بالموجود).
- الله يطعم الحمص للي مالوش سنان.
- طلبتها المشتهية وأكلتها المستحية.
- اللي بدو يوكل عسل يصبر على قرص النحل.
- يلي عنده قمح يقرضوه طحين.

في التقويم الشعبي (الجيد منه والمكروه من الحيوان):[6]

إن الأقوال والأمثال الشعبية تقسم إلى قسمين تبعاً لفصلي الصيف والشتاء. فالشتاء هو بداية السنة في عرف الفلاحين، ويبدأ في 14 أيلول وهو عيد الصليب، لأنهم ينهون فيه الحصاد والقطاف ويبدأ الموسم

الجديد، وتهب رياح شرقية يسميها الفلاحون شراقي الصليب أو شراقي الخريف، وهذه الرياح هي الرياح الفاصلة بين الصيف والشتاء، وتأتي في العادة في أواخر شهر أيلول، لذلك يطلق المثل القائل (أيلول طرفه مبلول). وإذا هطلت الأمطار يقولون (الموسم بدري). إذا بدأت المطرة الشراقية قبل طلوع الشمس فسرعان ما تتلاشى، وإذا ما بدأت بعد طلوع الشمس فتأثيرها يستمر ثلاثة أيام. ويتشاءم الناس بالرياح الشرقية لأنها تجفف الجلد والوجه، ويقولون في سنة الشراقي (بتدور وما بتلاقي) أي لا خير فيها. ويبدأ المطر في هذا الموسم مبكراً ويسمونها (شتوة المساطيح) لأنها تنزل على سطوح العشب الذي يبلونه بالماء والزبيب إذ ينشرونه حتى يجف. ولكل من الثلاثة الأولى الممطرة أسماء كما يقولون: الأولى والثانية والثالثة (يوم فتوح)، ويوم الرابع والخامس والسادس (يوم انبوح)، ويوم السابع والثامن والتاسع (يوم منوح) أي شتاء جديد في تفسير البعض. وفي هذا الموعد يبرد الطقس ويقول الناس (مالك صيفيات بعد الصليبيات)، ويقولون (إن أبرقت على الصليب ما بتغيب). وفي شمال فلسطين في الجليل يقولون عند البرق بأنه علامة المطر (عند البرق الدنيا بتخبط)، وأما إذا أبرقت وأرعدت (زواريبها طرطقت). ويقولون عن المحاصيل متى صلبت خربت، أي أن المطر بعد الصليب يخرب الزرع. ويعتبرون الثالث من تشرين الثاني هو التقويم، فيقولون (يودع العنب والتين السنة). وفي أكتوبر (تشرين أول) تجف مياه الآبار فيسارعون إلى تنظيفها من الأوساخ قبل الشتاء، ويقولون عن بداية السنة الزراعية الجديدة (في عيد لد شد يا فلاح شد، ما بقي للشتاء فعد). أما أشهر كوانين (هن فحول الشتاء والأرض)، الفحول رمز الإخصاب، فيقولون (بيكسب من مطر كانون مثل ما بتكسب الحرمة من الرجل). ويوصف كانون بأنه فحل السنة أو محلها. أما شهر شباط فهو غير مستقر (شباط الخباط ما عليه رباط). أما المستقردات فإنها جاءت في قصة العجوز وغنامتها، والقصة تقول: أنه مرت سنة ولم ينزل مطر، فسمع شباط العجوز تقول (راح شباط ودسينا في عجزه المخباط)، فغضب شباط وقال لأخيه آذار: أقرضني ثلاثة أيام ومن عندي أربعة حتى نجعل العجوز تحرق دولابها، أي لم يبق للعجوز من الوقود تحرقه من شدة البرد سوى دولابها الذي تغزل منه لتعتاش. أما أسعد ذابح فإن قصته تقوم على: أربعة شبان يحملون بضائعهم تحملها أربعة جمال، وتعرضوا في طريقهم لموجة برد قاسية فمات ثلاثة وبقي الرابع، فقام يذبح ناقته وسحب ما في جوفها ونام داخلها ونجى، لذلك يقولون أسعد ذابح.

أما الربيع فهو فصل العشب، ويبقى أسيرة (المربعينية)، وخمسينات الشتاء تبدأ أول شباط وتنتهي في الثاني والعشرين من آذار، وتقسم هذه الفترة إلى أربعة أقسام.

ومن الألعاب التي يعتاد القرويون ممارستها، وما أكثرها، منها مثل:

1. **لعبة الطابة** :تصنع من القماش وتحشى بالقطن والصوف أو بقماش ممزق وتُخاط، ثم يأخذها الأولاد ويحمل كل منهم عصا طويلة ويتنافسوا على سحب الكرة إلى المرمى، وهي حفرة يدخل فيها الكرة ليفوز.
2. **لعبة الغميضة** :تتم القرعة على من يبدأ اللعب، ويعصب عينيه، وله الخيار بأن يعثر على غيره من اللاعبين ويمسك به. (لعبة الغمامة).
3. **لعبة العصا والعصاة المثبتة في ثقب حجر ثقيل** :ومن يستطيع ضرب العصا المثبتة فيكسرها أو يزحزح الحجر المثبتة به يكون الفائز.
4. **لعبة البرش الرواح** :وهي لعبة متطورة، تؤخذ الطابة المطاطية بيد اللاعب، واللاعب الثاني بيده عصا مفلطحة النهاية، يقذف حامل الكرة للأعلى فيضربها الآخر فتطير الكرة بالجو، وعليه الركض ليمسك بها، وهذه كانت لعبة الكبار.
5. **لعبة القفز العرضاني** :وهي حفرة مستطيلة فيها رمل أو تراب، يتنافس الأولاد بالقفز، ومن يزداد طولاً في قفزته يكون الفائز.
6. **مسابقات الركض** :وهي السائدة بين اللعب، ومن يفوز في قطع المسافات يكون الفائز.
7. **القفز العالي** :يمدد حبل بين عمودين بارتفاع من السنتيمترات، فإن كان الولد عمره ست سنوات يثبت الحبل على ارتفاع 30 سم، وإن كان عمره فوق ذلك يرتفع الحبل حسب الطلب. أما في الوقت الحالي فإن اللعبة تطورت إلى درجة كبيرة من التقنيات.
8. **لعبة المنة** :وهي عامة يلعبها الأولاد طيلة العام. ولعبها يتم كالآتي: يؤخذ عود من غصن شجرة طوله طول مسطرة (20–30 سم) على حجر يشكل مائلاً، ثلثه بارز للأعلى، ويقوم اللاعب ويضرب الطرف البارز من العود بعصاه فيطير العود في الهواء ويبعده عن الفريق المنافس، وإذا التقطه هذا الفريق صارت اللعبة لهم.
9. **لعبة المنقلة** :يقتصر لعبها على اثنين من اللاعبين، وهي لوحة من الخشب يتراوح طولها بين 40–50 سم، محفورة بأربع عشرة حفرة مقسومة إلى قسمين، كل صف سبع حفر، ويوضع في حفرة واحدة 7 حبات من عجم الزيتون أو حجر رسوبي بحجم حبة الفول. ويبدأ اللعب عادة الكبير في السن، إذ يأخذ اللاعب الحبات السبع من حفرة الحبات في الصف الأول ويوزعها على الحفر الخاصة بصفه مبتدئاً من اليسار إلى اليمين، وعندما ينتهي يبدأ اللاعب الثاني في اختيار الحبات التي تكون في الحفرة التي من جهته ويوزعها هو الآخر ويضع في كل حفرة حبة واحدة كما فعل

اللاعب السابق، وهكذا. عندما يوزع الحبات إذا كانت في الحفرة التي تحتوي على حبة واحدة فيربحها (أي يأخذ الحبتين). وإذا كانت آخر حبة في حفرة تحوي 3 حبات أيضاً يربح أربع حبات. أما إذا كان أكثر من جوز أو أربع فلا يربح. ويستمر اللعب حتى لا يبقى أية حبة في الحفرة، وعندها ينتهي اللعب.

وفي الأعياد يذهب الأطفال إلى المراجيح بأنواعها، ويشاهدون مراكز عرض الصور عن طريق صندوق العجائب أو الكراكوزاتي أو الحاوي (لاعب السحر) أو الذهاب إلى المدينة للتدرب على النيشان ببارود الخردق أو استئجار الدراجات وغيرها من الألعاب المتوفرة. أما هذه الأيام فإن ألعاب الفيديو المتعددة والجوال المتنوع الأهداف يشغل الناس كبيرهم وصغيرهم، ويأخذ الوقت الكبير من نشاطاتهم، ويحولهم إلى عوالم أخرى تستنفذ أوقاتهم وتستهلك نفقاتهم وتلهيهم عن الأكل والشرب في كثير من الأحيان، فتضعف أجسامهم التي حرمت من اللعب والمرح والرياضة، وتلهيهم في كثير من المرات عن تأدية واجباتهم المدرسية، حتى كاد (الآيفون) يخدر عقولهم وأحاسيسهم، رغم المنافع التي يكتسبها العاقلون من المستخدمين.

التعاون :هناك عادات التعاون في الزراعة، في حراثة الأرض وبذر البذور أو زرع الأشتال وجمع الثمار (الزيتون) والحصيد وجمع الإنتاج ونقله إلى البيدر أو المعصرة للزيتون. وتتجلى فكرة تعاون أهل القرية بالتعاون أثناء الأفراح والأتراح والحرائق ومصائب الطبيعة، فتراهم عند الزواج يشاركون أهل العريس والعروس بكل جوارحهم يخففون عنهم الحمل الثقيل، وكذلك بالأتراح والمصائب يشاركون أهلها بالأسى والحزن. إن العقد الاجتماعي في القرية كبير وقوي وعميق، وبشكل خاص في الماضي القريب، بينما أخذت تقل هذه الأيام، وتحولت المراسيم إلى صالات من بناء واسع كبير مجهز بالطاولات والكراسي تزينه الورود والكهرباء وساحات الرقص، في الأفراح تقدم فيه أطباق للطعام والحلويات والفواكه، وفي الأتراح تكون القاعة واسعة أيضاً معممة بالسواد مليئة بالكراسي للمعزين من أهل القرية وغيرها. كانت الأخبار تنتقل في السابق إلى سكان القرية عن طريق الجامع أو الكنيسة أو نقلها إلى الآخرين عن طريق الأفراد، ولم تمض ساعة أو ساعتين حتى يصل الخبر إلى الجميع، بينما في الوقت الحاضر يصل الخبر إلى كل أهل القرية خلال ثوانٍ عن طريق الخلوي. إن المجلس المحلي في بلدة طرعان الممثل برئيسه وأعضائه ومريديه يتحملون العبء الأكبر من هدف التعاون لأهل البلدة، ويساهمون في كثير من مراسيمه لا سيما الاجتماعات الطارئة والهامة في قاعة البلدية لما هو ضروري من خدمات جديدة طارئة. تقوم المدارس في البلدة ببعض النشاطات الخدمية للبيئة من غرس الأشجار، ورصف لبعض الطرق، وزراعة حدائق المدارس وتجميلها بالأزهار، وبناء المصاطب الزراعية، وتنظيف المدرسة ومرافقها من الشوائب والأوساخ. التعاون في الأبنية: جرت العادة في معظم قرى فلسطين مساعدة البنّاء في سقف البناء عن طريق قيام شباب القرية أو بعضهم

مساعدة بناء البيت عند سقفه (الطوبار)، وذلك بخلط الرمل والكلس مع الإسمنت لإعداد الجبلة، ثم ينقلها على أكتافهم بتسلق السلالم المتعددة إلى سطح البناء، وهنا يفرغون الخلطة إن كانت خلطة (إسمنت رمل) أو (أسمنت وكلس) و(أسمنت وطين مخلوط بالتبن) (سيقان الحنطة والشعير). وإذا كان سقف البيت بشكل قبة ينتظرون البنّاء ليضع آخر حجر بالقبة، وهنا تبدأ الأغاني والزغاريد والتكبيرات، بعدها يقوم الشباب بنقل التراب والبحص والحجارة المحمولة لردم فجوات القبة حتى تتساوى مع السطح، ثم تغطى بطبقة من الرمل والإسمنت، وتُسلط على فتحة ينزل منها مزراب تنقل الماء عن السطح إلى أسفل ليصب في بئر معد لخزن ماء الأمطار ليستخدم في الصيف في التنظيف أو سقاية الماشية والحيوانات الأخرى. في كثير من الأحيان كانت تذبح ذبيحة وتطبخ للعاملين عرفاناً وتقديراً لمساعدتهم الحميدة، مَصْبُون بمواساتهم ودعوتهم للطعام، أو مساعدتهم في الإكساء أو المال ومواد المؤونة وما أكثرها. هذا قليل من كثير ذكرته من عوامل التعاون في القرية.

- كل المراجع في هذا الفصل أغلبها اعتمدت عليها من: خبراتي الشخصية: الموسوعة الفلسطينية ج4، فكتور سحاب، ص450.
- كتب نمر سرحان 1-2-3.

الفصل السادس

المنازل وحياة السكان

(السكن وتوظيفه والعادات وحياة السكان)

وقد تطورت الأبنية، يقول المثل "إن الإنسان ابن بيئته"، وأن العوامل الطبيعية من أرض ومناخ وتربة وأشجار وصخور وغيرها ساعدت البشر على اختيار بيوتهم، ويختلف السكن باختلاف المواد المتوفرة في البيئة. فأبنية جبل العرب في سورية، حيث تقل الأخشاب، يبنون بيوتهم بحجر البازلت الأسود حتى السقف، بينما بيوت دمشق القديمة مبنية من خشب الحور المتوفر ببيئة دمشق حتى اليوم، ويمكن بناء أكثر من طابق. بينما نرى بيوت قرى حماة الشمالية مبنية من الطين فقط على شكل مخروطي وقباب. ولما كانت منطقة طرعان كلها واقعة في السهل والجبل، تعج بالينابيع ومناخها مساعد للسكن، فقد استثمر البشر هذه الميزة في بناء مساكنهم وأبدعوا في البناء، لذلك نرى بيوت الناس في هذه البلدة تجلب النظر بحجارتها البيضاء الناصعة، وإلى جانب السقوف الخشبية نرى السقوف المعقودة بشكل القبة، وهي الأبنية القديمة التي كانت شائعة قبل وجود الإسمنت والحديد. وكانت البيوت تبنى بشكل عشوائي لا نظام لها، والطرق ضيقة لا تسمح إلا لشخص أو ثلاثة أشخاص بالمرور فيها، وذلك لأمور أمنية، إذ يتعذر للغزاة دخول القرية بسهولة على خيولهم، ويلاقي الفارس مقاومة لا يقدر عليها، كما تساعد ملاصقة بيوت البلدة بشكل رائع بعد أن اختار أهل البلدة مجلس البلدية التي بدأت وتقوم على تقديم البنية الأساسية للبلدة من تنظيم للأبنية، وبناء الطرق المعبدة والشوارع المنظمة والساحات العامة، ومد شبكات الكهرباء والماء إلى البيوت، والحفاظ على الأحراش، وتقديم الخدمات لسكان البلدة، وإشرافها على التعليم والمواصلات والأمن، والعمل على مشاريع تحسينية لصالح أهل البلد. لقد تأسس مجلسها المحلي عام (1959م)، ويشغل منصب رئيس المجلس محمود يوسف عدوي، وشغل هذا المنصب لفترتين انتخابيتين قبل ذلك، ويتكون المجلس من 11 مقعداً بالإضافة إلى مقعد الرئيس، موزعة بين ست قوائم انتخابية وهي: الحركة الإسلامية، وقائمة النهضة البناءة للإعمار ولكل واحدة منها مقعدان، ثم قائمة النور، المستقبل، الازدهار، السلام، والهدف، وكل واحدة ممثلة بواحد.

وتتوفر بالبلدة الخدمات الأساسية مثل شبكة الكهرباء والمياه ومصلحة الهاتف، والتي وصلت إلى البلدة: مثل شبكة الماء وصلتها عام 1960، والكهرباء عام 1965، والهاتف بدء بإيصاله إلى البيوت عام 1969. وعلى المستوى الصحي، تعمل تسع عيادات: واحدة لصندوق المرضى، وأخرى لرعاية الأمومة والطفولة،

واثنتان لطب الأسنان (خاصة)، وأربع عيادات طب عام (خاصة)، بالإضافة إلى مركز طبي للحركة الإسلامية.

يؤمن أهل البلدة بالعقد الاجتماعي الممثل بالأسرة ثم الحمولة، ويؤمنون أيضاً برواسب العصبية. وإيمانهم بالوحدات المتدرجة يعبر عن روابط العصبية القبلية (أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب). وأن أولى حلقات الوحدة الاجتماعية في نظرهم هي العائلة، إذ أن القيم الاجتماعية تبجل العائلة وليس الانتماء إليها. فمنهم من يقول في تبجيل العائلة أنه (ابن عائلة). الشخص الذي لا ينتمي إلى عائلة يقولون أنه مقطوع من شجرة، وإذا قالوا (ابن عائلة) فذلك يعني في عرفهم أنه من أصل طيب كريم، وأحياناً يقولون ابن حمولة، أي أن المنتمي إلى حمولة يكون من شجرة لها أصل وجذع وفروع، أفرادها يشعرون بالوحدة والتماسك والتضامن. ويسعى الشباب إلى الزواج من بنت الأصل، لأن المرأة الأصيلة كالفرس الأصيلة، والبنت الأصيلة شرطها أن تكون (معمَّمة ومخوَّلة)، أي يكون كل من عمها وخالها من أصل طيب. وقد درج أبناء القرى في فلسطين على تبادل الزواج بأن يتزوج الشاب من قريبته ويزوج أخته لأخ زوجته. ومن العادات غير المرغوب فيها حقاً كانت المنازعات بين العائلات، ويتطور هذا النزاع إلى عراك بينهما بالعصي والحجارة والسكاكين أحياناً، وما أكثرها. طبعاً لقد انحسرت هذه الظاهرة بعد تقدم العلم ولجوء الناس في هذه الأيام إلى حل مشاكلهم بالحسنى دون عنف. لقد شجع الانتداب البريطاني هذه العادات القبيحة واستغلها بشكل وحشي في سياسته (فرق تسد)، وكان همه إلهاء أهل فلسطين في مشاكل تبعدهم عن الصراع مع الصهيونية، مثلما تعمل الدول الكبرى الآن في المشكلة السورية والعراقية في ممارساتهم المنافقة ومؤتمراتهم الكاذبة.

المأكولات والمشروبات:

كان هناك اكتفاء ذاتي لسكان بلدة طرعان لوجود الأغنام والأبقار والماعز ومشتقات الألبان، إلى جانب توافر جميع أنواع الحبوب من قمح وشعير وذرة وعدس وجميع أنواع البقول، وبشكل خاص الحمص والفول، والخضار بكل أشكالها، ولم يكن الفلاح بحاجة إلا للسكر والأرز والقهوة والشاي.

وأهم المأكولات الشائعة عند الناس في البلد هي: العصيدة – الكبة – الثريد – المجدرة – المنسف (لحم مع الأرز واللبن) – مقلوبة الباذنجان – أو مقلوبة القرنبيط – الملوخية – الخبيزة – البامية – منزلة – زيت مع الزعتر – الرشتاي – المعكرونة – الهندباء... الخ.

ومن الحلويات هي: قطايف بالجبن – قطايف بالجوز – العصيدة – الزلابية – الهريسة – البقلاوة – اللبأ مع الحليب – الرب مع الطحين – الدبس مع الطحين والسمسم – الخبيصة – العوامة أو لقمة القاضي – قمر الدين – ودبس العنب – ودبس الخرنوب – ودبس التمر – الحلاوة والعسل.

وأهم المشروبات: الحليب – الشاي– القهوة– البابونج– شراب الخروب. أما في الوقت الحاضر فقد شاعت المشروبات الوافدة من الخارج مثل الكولا — وعصير الفواكه مثل التفاح والموز والليمون والحليب – والسوس... الخ.

بعض الأدوات المستعملة في بيوت البلدة: تستخدم بعض الأدوات والأشياء ولها أسماء معينة عند أصحابها مثل:

- **الخوابي** (جمع خابية): وهي مخزن للحبوب تبنى أمام حيطان بيت المونة أو الزريبة، ولها فتحة أسفلها تغلف بسدادة، ويبقى سقفها مفتوحاً لتملأ ثانية بالحبوب أو العلف.
- **الطناجر** :وهي بأنواع كثيرة منها النحاسية والألومنيوم ومعادن أخرى.
- **الدست:**وهو وعاء كبير الحجم من النحاس يستوعب 500 لتر من السوائل، يوضع على النار لسلق القمح ليصير برغلاً، أو يغلى فيه سائل البندورة ليصير رب البندورة، أو عصير الخرنوب ليصير (الرب) ويستعمل في الطبخ للولائم في الطعام.

والمعتقدات: يعتقد كل فلسطيني بأن الطعام قسمة ونصيب، وأن المرء لا يأكل إلا ما قسم الله له، لذلك هناك أقوال مأثورة عديدة بهذا الصدد.

"اعزم والزم، والأكل نصيب" وأحياناً يتأخر شخص على العزومة فيأكل شخص آخر طعامه غير مدعو، فيقولون "ما حدش يوكل نصيب حدا". وإذا قيل للمدعو لحثه على الاستزادة يقول: "أكلت الي فيه النصيب". والأمثلة كثيرة عن الأكل مثل:

- يلعن الشارب قبل الطالب (أدب الانتظار).
- غُب غب الجمال وقوم بأول الرجال.
- أطعم الفم تستحي العين.
- إن غاب عنك السمن عليك بالزيت (القناعة بالموجود).
- الله بيطعم الحمص للي مالوش أسنان.
- طلبتها المشتهية وأكلتها المستحية.
- اللي بدو يوكل عسل يصبر على قرص النحل.
- اللي عنده قمح يقرضوه طحين.[1]

وفي حفظ الطعام استخدم الفلاح: الخزانة ذات الأبواب الملبسة بالمنخل، حيث يدخلها الهواء فيبقى الطعام ليوم أو اثنين بعيداً عن الحشرات والذباب. أو توضع اللحوم والطبخات في أوانٍ مفتوحة وتوضع في وعاء من القش مدلاة بحبل بعيداً في الهواء الطلق ولا تفسد، شرط أن تكون في الظل.

وأحياناً يكون الليمون والبرتقال نادراً في الصيف، لذلك يلجؤون لحفظ الليمون خاصة، ويطمرونه في رمال رطبة، وكلما احتاجوا إليه يخرجونه من بين الرمال ويستخدمونه في العصير على الطعام، وربما تبقى في الرمل شهراً أو شهرين.

بينما استبدلت البرادات على أنواعها في حفظ الأطعمة لأيام وأسابيع وشهور. ومن الأدوات المستعملة عند أهالي فلسطين كانت الحصير أو الحرام، والفرشة، والمسند، والمخدات في غرفة الجلوس (غرفة القعدة). وإذا جاء الطعام محمولاً على طبق من القش يوضع في وسط الغرفة، وتجلس الأسرة حول الطبق ويتناولون طعامهم بكل راحة.

ثم تحول الطبق إلى طاولة قصيرة الأرجل، وتلتف أفراد الأسرة وهم جلوس على الأرض ويتناولون الوجبة بحرية وبساطة، وتدعى بالطبلية.
وقد تحول الطبق (الطبلية) الطاولة السابقة إلى طاولة كبيرة أرجلها طويلة، وحولها تصطف الكراسي، ويجلس الآكلون على الكراسي ويتناولون طعامهم بكل فخر واعتزاز، وهذا هو عصر الجيل الجديد الحالي.
أما تموين الغذاء للأسرة، فإن الفلاح يسعى لتأمينها في الشتاء حتى لا تجوع أسرته حين ينتهي مواسم الزرع والحصاد. وأهم مخزونات المؤونة السنوية (القطين – وهو التين المجفف – الزيتون حب – المخللات، ورب البندورة، ورب الخروب – والمربيات (مربى التفاح والمشمش والعنب والسفرجل) والألبان والأجبان والسمن، ثم مؤونة القمح وأحياناً مؤونة الكلس ويضعونها في التون عند المحاجر.

(1)الموسوعة الفلسطينية، مجلد 4 خاص، ص 669، فكتور سحاب.

الأصل والنسب:

يؤمن الفلسطيني دائماً بالعقد الاجتماعي، ومفهوم هذا العقد شبيه بمفهوم العقد الاجتماعي الذي تأسس في دولة الإسلام الأولى في يثرب، إذ أقام الإسلام أمة موحدة فوق القبائل، ولم يلغ الرابطة القبلية مع أن عُقْد

قوة العصبية القبلية تفسد على الأمة وحدتها.

والفلسطيني يؤمن بالحمولة، ولكنه يؤمن بالقرية وعصبيتها الموحدة، وكذلك بانتمائه إلى أمة العرب، ولم يفكر أي فلسطيني بعد زوال الدولة العثمانية أن يطالب بدولة فلسطينية، ولحد الآن يكره الإقليمية، وكل همته في وحدة العرب لأن وحدتهم هي قوتهم وعزتهم، تحفظ حدودهم وخيراتهم وثقافاتهم وتعزز حاضرهم.

بما فيهم، ومما يحز بالنفس أَسَفاً ولوعة، أن جماهير العرب في العقد الخامس من القرن العشرين هي نفسها أوضاع العرب الحاليين في القرن الواحد والعشرين، إن كانت أسوأ حقاً بسبب تعزيز كراسي حكامها في دولها القطرية المقيتة، إذ كلما ازداد عددها ازدادوا فقراً، واضمحلت طموحات أبنائها لما تراه من انطواء قادتها تحت أوامر أسيادهم الذين يعملون ليل نهار في تفكيك هذه الدول والسعي لتقسيمها وتقسيم المقسم.

إن الثورات العربية الحديثة أراها تتداعى في تحقيق أهدافها إذا اعتمدت على الأجانب في مساعدتها في تغيير حالها البائسة، وقد تحولت الثورات إلى هدم بيوتهم وثرواتهم بأيديهم دون دراسة ودراية وإعداد كل ما يلزم للنجاح.

ومن الأشراف طبقات في المجتمع الفلسطيني التقليدي التي كان لها شأن كبير فيما مضى: طبقة الأشراف التي تدعي إلى أصول عربية أصيلة تتصل بآل البيت أو بصحابة رسول الله من المهاجرين والأنصار ومواليهم. منهم آل الكيلاني المنتسبون إلى الحسين بن علي، وهم في يعبد ونابلس وسيلة الحارثية، وشيوخ المساعيد في غور الفارغة، ومن المنسوبين إلى الحسين بن علي آل الشرفا في قرية بيتا قضاء نابلس، وآل البسطامي في نابلس، وآل مريش في الخليل ونابلس، ومن الجعافرة آل الحنبلي، ومن آل عباس بن عبد المطلب.

ومن الأشراف في فلسطين أيضاً من يسمون أشراف السيف، وهم أمراء وشيوخ، ويميز هؤلاء عن الشعب بلباسهم الثياب الجديدة وبإحاطتهم بالخدم والأتباع، وكل ما يميزهم عن غيرهم العتاد والخيل وسواس الخيل، ويأنف هؤلاء الحرف والمهن، إذ أن هذه حرف يدوية خالصة، ولهذه النزعة ما يقابلها لدى نبلاء الإقطاع في أوروبا في القرون الوسطى. زمن أشهر العائلات التي نالت شرف السيف آل ماضي قضاء حيفا ومقرهم بلدة إجزم، وآل شبل شيوخ عكا ومركزهم في شفاعمرو.[2]

والديوان هو مقر تجمع زعيم العائلة في البلد أو الحي، وهو عبارة عن بناء واسع يسمح لعدد كبير من الزوار والضيوف، يحاط بالفرش والمساند، يتوسطه وعاء معدني فيه أباريق القهوة يدعى (منقل)، وبقربه صينية فيها فناجين القهوة تقدم للضيوف. وتعقد جلسات في العقد يتناول فيها الحاضرون شؤون العائلة أو

أوضاع أسرها وبحث المستجدات، وقد لعبت الدواوين دوراً بارزاً في الحركات الوطنية الفلسطينية بالتخطيط ومقاومة الاحتلال ومساعدة الثوار بالمال والمقاتلين.

وكان للديوان نشاطات أخرى مثل دراسة شؤون الأراضي، والغلات الزراعية وتسويقها، وإعداد الأراضي لحراثتها ثم زرعها وتموينها، كما يلعبون ألعاباً مسلية مثل لعبة الطاولة أو لعبة الضاما والبرسيس والشدة بأنواعها. وينفق المسؤول عن الديوان كل النفقات من جيبه أو من تبرعات زملائه وأقاربه.

وهناك الكثير من الدواوين في القرية الواحدة، أهمها ديوان المختار حيث يؤمن كافة أهل البلدة والأغراب من الضيوف. وقد تبدلت الدواوين في الوقت الحاضر إلى المقاهي والنوادي والقاعات، ولم يعد للديوان تلك الأهمية الماضية، مع أن المهاجرين من الفلسطينيين يحافظون حتى اليوم على إقامة دواوينهم الخاصة في الأردن إما باسم العائلة أو باسم بلدهم في فلسطين. وقد أخذت المجالس المحلية مهمة الديوان في الوقت الحاضر، وصارت البلدية ومرافقها تلعب الدور الأول بإدارة شؤون البلدة أو المدينة وتطوير نشاطاتها في تنظيم البناء، وإدخال شبكات الماء والكهرباء والهاتف والشوارع، وبناء المؤسسات اللازمة.

المراجع

(1) دراسات في المساكن، للدكتور أنور نعمان، قسم الجغرافيا في جامعة دمشق.
(2) الفولكلور الفلسطيني، ج2، نمر سرحان.
(3) الموسوعة الفلسطينية، ج14، فكتور سحاب.
(4) الموسوعة الفلسطينية، ج14، فكتور سحاب.
(5) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير، مروان الماضي.

الفصل السابع

مجازر الصهيونية في شعب فلسطين

قامت الصهيونية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بصياغة منهاجها الاستعماري المطابق للاستعمار الأوروبي، ويزيد عليه بالاستعمار الاستيطاني القائم على تفريغ فلسطين من سكانها العرب وإحلال يهود العالم محلهم، والتقت دعوتهم مع رائدة الاستعمار العالمي بريطانيا.

وقد وجدت بريطانيا مصلحتها بزرع شعب غريب في قلب فلسطين، لمنع الجناح العربي في أفريقيا عن الجناح العربي الآسيوي، وتمزيق وحدة العرب بكيانات هزيلة ضعيفة تظل تابعة للاستعمار بكل أشكاله.

تلاقت مصالح بريطانيا مع رغبات الصهاينة، فأصدرت الحكومة البريطانية وعدها المشؤوم، وهو وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا بتاريخ 2 أكتوبر 1917، الذي ينص على منح الصهاينة وطناً قومياً لهم في فلسطين، بشرط عدم المساس بمصالح سكانها العرب، وكانت فلسطين آنذاك تحت الحكم العثماني. وقد بات هذا الوعد مقدساً لدى السلطة البريطانية، وعملت كل المستحيلات في تنفيذه رغم كل الاحتجاجات السلمية من شعب فلسطين العربي من مظاهرات وعنف كانت تجابهه بقسوة ظالمة. وقد حكمت بريطانيا فلسطين منذ عام 1918 حتى عام 1948، أي ثلاثة عقود، أنجزت فيها تأمين الوعد بكل مقوماته، في تأمين المؤسسات والأبنية والمرافئ البحرية مثل ميناء حيفا ومصفاة البترول، والموانئ الجوية المدنية مثل مطاري اللد وقلندية، وشبكات مواصلات برية بطول البلاد وعرضها، كما خلفت بريطانيا ما أقامته من

معسكرات وسجون ومراكز الأمن ومؤسسات كاملة للخدمات (دوائر تعليم، زراعة، صناعة، محاكم ...الخ) إلى جانب الهجرة الصهيونية التي تمت في عهد انتدابها، إذ كان عدد اليهود بفلسطين وقت انتدابها 56000 فرداً، وأصبح عددهم بعد انسحابها 650000 نسمة. كل هذا تسلمته العصابات الصهيونية من بريطانيا عند انسحابها من فلسطين، وتركت للعصابات الصهيونية السيطرة على باقي فلسطين، ولم تترك لأهالي البلد من مؤشر حضاري سوى البيوت المهدمة لمعارضين لسياستها وتعدادها بآلاف، والسجون والمعتقلات والتشريد. وإليك ما قامت به العصابات الصهيونية من مجازر لعرب فلسطين:

1. **مذبحة قريتي بلد الشيخ وحوَّاسة، عام 1947/12/31**

أمام باب مصفاة بترول حيفا، ألقى الصهاينة وهم داخل حافلة مصفحة قنبلة قتلت عدداً من العمال العرب كانوا مجتمعين بفسحة الباب. ووصل الخبر إلى العمال في الداخل، فثار العمال العرب وأكثرهم من قريتي حوَّاسة وبلد الشيخ، هاجموا العمال اليهود الموجودين بالمصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد، وقتلوا وجرحوا نحو ستين منهم. عندها قامت المنظمات الصهيونية بمهاجمة المساكن المتطرفة في القريتين الآمنتين ليلاً، فرموها بالقنابل اليدوية وأمطروها برشاشاتهم لمدة ساعة، وخلفوا وراء هذا الهجوم المفاجئ 30 شهيداً وجريحاً، وأحرقوا عشرة بيوت.

2. **مذبحة قرية سعسع، قضاء صفد، في 1948/2/14**

شنَّت عصابة البالماخ الصهيونية هجوماً على قرية سعسع، دمرت فيها 20 منزلاً فوق أصحابها، وأسفر الهجوم عن 60 نسمة معظمهم من النساء والأطفال، وقد تماهى العدو بهذه الجريمة واعتبرها مثالية يعتز بها.

3. **مذبحة رحوفوت، في 1948/2/27، قرب حيفا**

حدثت في حيفا قرب مستوطنة رحوفوت، حيث نسف الصهاينة قطار القنطرة للركاب، الأمر الذي أسفر عن استشهاد 27 عربياً وجرح ستة وثلاثين آخرين.

4. **مذبحة كفر حسينية، في 1948/5/13:** قامت عصابة الهاجاناه بالهجوم على القرية وعملت على تدميرها، وأسفرت المذبحة عن استشهاد ثلاثين عربياً.
5. **مذبحة بنيامينا، في 1948/5/27:** لقد حدث في هذا الموقع مذبحة، حيث نُسف قطاران، أولهما تم في 1948/5/27 وأسفر عن استشهاد 24 فلسطينياً وجرح أكثر من 61 آخرين. وتمت العملية الثانية في 1948/5/31، حيث استشهد أكثر من 40 عربياً وجرح 60 آخرون.

6. **مذبحة دير ياسين، في 1948/4/9:** مجزرة ارتكبتها منظمتان صهيونيتان إرهابيتان، هما الأرغون والتي يرأسها مناحيم بيجن (رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد والمحكوم عليه من قبل حكومة الانتداب البريطانية بعشرين عاماً) وتم الهجوم باتفاق مسبق مع منظمة الهاجاناه، وراح ضحيتها زهاء 260 فلسطينياً من أهالي القرية، معظمهم مدنيين عزل. وكانت هذه المذبحة وغيرها من أعمال الإرهاب والتنكيل المحرمة دولياً، وهي إحدى وسائل البطش التي تبنتها العصابات الصهيونية لإفراغ الأرض من أصحابها والسيطرة على فلسطين العربية، وكل هذا تحت أنظار سلطة الانتداب وحراب جنودها المسلطة على عرب فلسطين.
7. **مذبحة الطنطورة، في 1948/8/22:** هاجمت كتيبة 23 التابعة للواء الإكسندروني ليلاً قرية الطنطورة واحتلتها بعد ساعات، وانهمك الجنود الصهاينة بملاحقة ومطاردة البالغين من الذكور، وقتل من يقابلوه بعد أن قسموا بعضهم إلى فرق توزعوا في القرية. وقد جمعوا جثث القتلى وعددهم التسعين شهيداً من خيرة شبان القرية وطمروهم في حفرة، ولم يكشف الخبر عنهم إلا قيام طالب جامعي يهودي بتقديم رسالته التي خصها في المذبحة، وأخذ مصادره من أفواه من قابلهم من ذوي الشهداء وضباط الجيش الإسرائيلي وملفات العسكر.
8. **مذبحة قرية الدوايمة، في 1948/10/29:** هاجمت الكتيبة التابعة لمنظمة ليحي الصهيونية بقيادة موشيه ديان قرية الدوايمة في منتصف الليل، وحاصرت المصفحات البلدة من كل أطرافها ما عدا الجانب الشرقي للسماح لأهلها بالهرب. وقام أفراد المنظمة بتفتيش المنازل وقتلوا كل من صادفهم من السكان، ونسفوا بيت المختار. وقد لجأ بعض المسنين إلى مسجد القرية واحتموا فيه، وقتل منهم 75 رجلاً. كما لجأت 36 عائلة إلى مغارة البلدة، وفي اليوم الثاني وصلتهم قوات الإرهاب جميعاً بالقنابل والرشاشات. وقد حاول البعض من أهل القرية التسلل إلى بيوتهم لجلب الطعام والشراب والثياب، وقد جرى اقتناصهم وقتلهم، كما نسفوا عدة بيوت بمن فيها. ثم جمع الصهاينة الجثث وألقوها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة، والتي لم يكشف عنها إلا عندما نشرت صحيفة "حداشوت" الإسرائيلية تحقيقاً عنها. وقد أقام الصهاينة مستعمرة "أماتزيا" على أرض القرية المنكوبة.
9. **مذبحة يازور قرب يافا، في كانون الأول عام 1948:** تقع القرية على مفترق طرق، تعرضت القوافل الصهيونية إلى عنف المقاومة العربية، كانت آخرها أن اصطدمت سيارة حراسة يهودية بلغم أردى بحياة ركابها وكانوا سبعة. فوجه ضابط عمليات منظمة الهاجاناه بيجال يادين أمراً إلى قائد البالماخ يغآل ألون بالقيام بعملية عسكرية ضد القرية تتضمن نسف وإحراق منازل وقتل سكانها. قامت العصابات الصهيونية الإرهابية في 22 كانون الثاني 1949، أي بعد 30 يوماً من حادث

الحراسة، وتولى إسحاق رابين عمليات البالماخ، فهاجم القرية فجر ذلك اليوم، فنسفت قواته العديد من المنازل ومباني منها مصنع الثلج، وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل 15 فلسطينياً من سكان القرية وهم نيام. وتعود أهمية هذه المذبحة إلى أن الشخصيات المعتدلة بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل اشتركوا في هذه المذبحة، كما أن توقيت الجريمة جاء بعد إعلان قيام الدولة، ولم تنشر تفاصيل الجريمة إلا عام 1981.

10. **مذبحة شرفات، في 1951/2/7:** في الثالثة من صبيحة يوم 1951/2/7، وصلت سيارات قادمة من القدس، وعلى ثلاثة كيلومترات ونصف عن خط سكة الحديد جنوب غرب المدينة وتوقفت، حيث ترجل منها نحو ثلاثين مسلحاً صهيونياً، واجتازوا خط الهدنة وتسلقوا المرتفع باتجاه القرية المطلة على القدس، فقطعوا الأسلاك الشائكة وأحاطوا ببيت المختار ووضعوا عبوات ناسفة في جدرانه ونسفوها بمن فيها، وانسحبوا تحت حماية نيران زملائهم والتي أصابت أهل القرية. وأسفرت المذبحة عن سقوط عشرة من القتلى: ثلاث نساء وخمسة أطفال، وثمانية جرحى كلهم من النساء والأطفال.

11. **مذبحة بيت لحم، في 1952/1/26:** وفي ليلة عيد ميلاد السيد المسيح للطوائف الشرقية، قامت دورية صهيونية بنسف منزل قريب من بلدة بيت جالا على بعد 2 كم من بيت لحم، وأطلقت النار على منزل آخر بالقنابل اليدوية، فقتل صاحب المنزل وزوجته وطفلان، وجرح طفلان آخران من العائلة.

12. **مذبحة قرية قلمة، في 1953/1/29:** هاجمت سرية معززة تتألف من 120–130 جندياً صهيونياً قرية قلمة العربية الواقعة في الضفة الغربية، حيث دكت القرية بمدافع الهاون فهدمت بعض بيوتها، وخلفت تسعة شهداء مدنيين إلى جانب عشرين جريحاً.

13. **مذبحة قلقيلية، في 1953/8/28:** حرص أهل قلقيلية على جمع المال وشراء الأسلحة للدفاع عن أنفسهم لما لمسوه من جرائم العصابات الصهيونية في إبادة شعب فلسطين. واستمرت المناوشات بين الطرفين، ولم يكتم الصهاينة غضبهم وفشلهم في كسر شوكة أهل القرية، حتى أن موشيه ديان صرح بقوله: "سأحرث قلقيلية حرثاً"، وذلك أثر فشل عدة محاولات لاحتلالها، وبشكل خاص في اشتباك يونيو 1953. وفي التاسعة من مساء العاشر من تشرين أول عام 1953، تسللت إلى قلقيلية مفرزة من الجيش الصهيوني تقدر بكتيبة مشاة وكتيبة مدرعات تساندها مدفعية ميدان ونحو عشر طائرات مقاتلة، فقطعت الأسلاك الشائكة وأسلاك الهاتف، وزرعت بعض الألغام في الطرق، في الوقت الذي احتشدت فيه قوة كبيرة من المستوطنات القريبة. وقد تحركت في الساعة العاشرة

من مساء اليوم نفسه، وهاجمت قلقيلية من ثلاثة جهات مع التركيز على مركز الشرطة، لكن الحرس الوطني أفشل الهجوم وتراجع العدو بمدرعاته. وبعد ساعة عاود العدو الهجوم بكتيبة مشاة تحت حماية المدرعات، وأحبطت العملية على يد النجدات القادمة من أهل القرية وما جاورها، وتراجع العدو ثانية وقد تكبد خسائر واضحة. تأكد سكان القرية أن هدف العدو هو مركز الشرطة، فزادوا قواتهم حوله وحشدوا أعداداً كبيرة حوله. وقد استغل العدو هذه الظاهرة، فقذفوا التجمعات بالمدفعية الميدانية، وقذفت الطائرات رشاشاتها وقنابلها، وتقدمت آليات العدو إلى مركز الشرطة واحتلته. ثم تابع العدو تقدمه وهو يطلق النار من رشاشاته على البيوت، وقتل كل من يصادفهم في الطريق، وكان حصيلة المذبحة غير المتكافئة قرابة سبعين شهيداً من سكان القرية وما حولها، إلى جانب الخسائر المادية التي لحقت ببيوت أهل البلدة وما أكثرها. لقد تحركت وحدة من الجيش الأردني القريبة من القرية، واصطدمت بألغام العدو التي زرعها في الطريق، فتكبد بعض الخسائر، وقام بعدها بقصف تجمعات العدو بالمدفعية الميدانية وكبدهم بعض الخسائر.

14. **مذبحة قبية، في 1953/10/15:** في كتاب صدر في تل أبيب عام 1969 باللغة العبرية، يرصد مؤلفه (يوري فلنشتين) العمليات التي قامت بها الفرقة 101 الشهيرة والمتخصصة بتدمير القرى العربية، والتي يرأسها "آرييل شارون" ونائبه شالوم، والذي يحكى عنه في إسرائيل أنه أجهز على الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام 1956. وقد قامت هذه الوحدة بسلسلة من العمليات الإرهابية خلال عام 1953 بلغت ذروتها في مذبحة "قِبْيَة" القرية الوديعة الواقعة في الضفة الغربية. وقد تذرعت السلطة الصهيونية في بداية الأمر بأن الهجوم جاء انتقاماً لمقتل امرأة يهودية مع طفلها، كما مارست الخداع بادعائها أن مرتكبي الحادث هم من المستوطنين وليسوا قوات نظامية، إلا أن مجلس الأمن، الذي أيدته اعترافات بعض القيادات الصهيونية بأن الهجوم على المرأة وطفلها خطط له منذ زمن بعيد لذلك لابد من الانتقام. وأسفرت مذبحة قيبية عن سقوط 19 قتيلاً من المدنيين العزل، ونسف 41 بيتاً ومسجداً وخزان مياه القرية. وقد أبيدت أسر بكاملها مثل عائلة عبد المنعم قاووس المؤلفة من 12 فرداً. وتعد مجزرة قيبية علامة بارزة في انتهاك دولة الصهاينة للقانون والأعراف الدولية، فضلاً عن حقوق الإنسان، ونموذجاً سافراً لسياستها الإرهابية، والأمم المتحدة المغلوب على أمرها لا يصدر عنها سوى الاستنكارات الخجولة وبصاق تافه سرعان ما تلحسه قبل أن يجف.

15. **مذبحة دير أيوب، في 1954/5/29:** في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم، خرجت من القرية ثلاث بنات لجمع الحطب، تراوحت أعمارهن بين الثامنة والثانية عشرة. وعند وصولهن إلى نقطة

قريبة من القرية وعلى بعد 400 متر من خط الهدنة، فاجأهن بعض الجنود الصهاينة، فهربت طفلة فأطلقوا عليها النار وأصابوها في فخذها، وتحملت الطفلة وتابعت الركض حتى وصلت بيت أهلها وأخبرتهم بما جرى. أسرع أهل الطفلتين إلى المكان المذكور، وشاهدوا نحو اثني عشر جندياً يسوقون أمامهم الطفلتين باتجاه بطن الوادي في الجنوب، حيث أوقفوهما وأطلقوا عليهما النار واختفوا وراء خط الهدنة.

الفصل الثامن

سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة إسرائيل

سياسة الانتداب البريطاني والصهيوني في شعب فلسطين: منذ أن وطئت بريطانيا فلسطين واحتلتها عام 1918م، عملت على تنفيذ وعد بلفور في إقامة وطن قومي لليهود بكل ما يلزم من تيسير الهجرة وسلخ أراضٍ، وتشجيع المؤسسات من مدارس وجمعيات ونوادي وطرق ومواصلات ومرافق من موانئ بحرية ومطارات ومعسكرات، وكبح لأصوات المعارضة من اعتقال وإعدامات لشعب فلسطين. وبقيت بريطانيا ثلاثين عاماً حتى سنة 1948م، وقد أمنت للصهيونية دولة قائمة على طبق من ذهب، تاركة شعب فلسطين يئن تحت احتلال إسرائيل، وزادت الإمبريالية الأمريكية من تقوية الصهيونية حتى باتت السلطات الصهيونية تهدد العرب والمسلمين في عقر ديارهم، وساعدتهم في التمادي على حكام العرب أجمعين. ومن الممارسات التي واجهها الفلسطينيون والعرب من بريطانيا وإسرائيل:

في الزراعة: أرض فلسطين خصبة، تربتها ومناخها المعتدل من حرارة ومطر، وأودية دائمة وسيلية، وينابيع دائمة، وخبرة قديمة متطورة، كلها جعلت فلسطين غنية بزراعتها، والكل يعلم بهذه الشهرة والغنى من قديم الزمان. لذلك كانت محط أنظار الطامعين من جوار وأغراب، مرت بها القوافل العالمية وداستها الجيوش الغازية، وتقلبت فيها السلطات والعروش، طرحت بأسواقها بضائع الأمم والشعوب من توابل هندية وكتان وقطن وسكر مصري، وبن يمني، ونسيج دمشقي، وصباغة فينيقية، وزجاج وفخار ونحاس كنعاني، وحديد فلسطيني، وسيوف شامية بأشكالها وأنواعها، ونماذج ومجسمات منحوتة في الخشب والحجر والرخام والعظم، إلى جانب القنب والأرز والحبوب والبقول بأنواعها. وكانت التجارة نشيطة بين الأقاليم، والقوافل تسعى بين أقطارها، السفن تبحر البحار محملةً بكل البضائع الخيرة والمؤن، تعين المغيث وتسد أفواه الجائعين وتطفئ السعادة على وجه المحرومين، تبعث الأمل في قلوب القانتين. ولا زالت الفنون وقوالبها تتمتع بها منطقة القدس ورام الله وبيت لحم، من حفر على خشب الزيتون لصنع نماذج متعددة وأشكال متنوعة من ترصيع الخزف بالخشب، وما تنتجه الإناث في رام الله ومحيطها من أشغال غاية في الجمال من حياكة وشغل الإبرة في تطريز الثياب، والتي نالت إعجاب نساء الغرب قبل إناث العرب، وخلقت أسواقاً رائجة للفنانين وما أكثرهم، تعوض ما سلبه العدو من أهل فلسطين. وباتت هذه الصناعة مصدر رزق لأكثر المواطنين تحت الاحتلال. هذا كان وضع الغزاة الطامعين، ومما زاد مقامها العالمي ظهور الأديان السماوية فيها، بركنها المقدس مدينة القدس الشريف، مدينة السلام والمحبة والإخاء، المؤمنة برب العالمين رب السماوات والأرض أجمعين، لخلق الناس التي لا تعرف التعصب والتمييز والكراهية التي لا تقوم على الغدر. مثل

الدولة المنتدبة، عملت خلال الثلاثين عاماً في حكمها لفلسطين على تحقيق هدفها، مقاومة كل المعارضة لهذا الهدف من قتل وإعدامات وسجون ونفي لكل النشطاء من أبناء فلسطين، بينما ساعدت الهجرة الصهيونية، شجعتها ودعمتها، وقدمت للصهاينة وعصاباتهم الدعم العسكري والحماية والتدريب المستمر أمام التجارة، وإغراق الأسواق بالحبوب بأسعار منافسة لأسعار الحبوب المحلية، مما أساء للتجار العرب كذلك للبقول حتى الزيت، صار لها منافس في أسواق فلسطين، والهدف هو إفقار الناس. هذا ما عبر عنه حاكم حيفا جورج ستيوارت في رسالته تقريراً عن انكماش الظروف الاقتصادية وتدهورها، مما له من أثر في موجة الاستياء التي تعم سكان العرب في فلسطين إلى حد تجاوب معه القرويون مع الحملات التحريضية المضادة للحكومة. يتابع هذا الحاكم في رسالته يقول: فالأعمال في عكا وشفاعمرو متوقفة، في حيفا تكاد تكون جميع أنواع العمل التي تعد بالربح على العرب متدهورة، كما أنه من الواضح أن الحواجز الجمركية في سرية أخذت تقتل الترانزيت. فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع المفرق يتوقف عن العمل، بل أن الحمالين وغيرهم يمارسون أعمالاً مؤقتة، قد أخذ بعضهم يتأثر بسبب الأفضلية التي منحت للمؤسسات اليهودية، أصحاب العمل اليهود يتعاملون إلا للمهاجرين من اليهود الجدد من العمال. إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة والدخل شبه معدوم. أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية) فإنهم كادوا يصلون لحالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخيلهم بواسطة أية أعمال أخرى. إن بعضهم يواجه الإفلاس، ليست حالة صاحب الأرض الكبيرة خيراً من ذلك بكثير، فهو مثقل بالدين ليس في وسعه الحصول على مزيد من القروض، فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الأسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه. إنه ليجد من الصعوبة عليه أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من الأراضي بسعر معقول. يرى ساكن المدينة أن ما يعانيه لن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عنه من الهجرة اليهودية. أما البدو فإن عليهم إما أن يتحولوا إلى فلاحين أو يهاجروا خارج فلسطين. فشردتهم واستولت على أملاكهم من عقارات وأثاث وأراضٍ بمراسيم سلطة غاشمة، استغلت مناصرة الاستعمار أمريكا في الأوساط الدولية. من عمليات طرد عرب فلسطين من قراهم في 1951/2/1 طرد إلى خارج فلسطين سكان 12 قرية فلسطينية تقع في وادي عارة في منطقة المثلث، طرد سكان أم الفحم ثم نسفت بيوتهم. اتبع الصهاينة سياسة الطرد الانتقائي الذي يقوم على اختيار لبضع عشرات من الرجال النشيطين من كل قرية وطردهم خارج الحدود لتلحق بهم عائلاتهم. وقد طردت كذلك قبائل بأكملها مثل البقارة التي أجبرت على مغادرة بلدتها بالقوة العسكرية إلى الحدود السورية، وانظم شبانها ورجالها البواسل في كل الانتفاضات والثورات التي حدثت من ثورات الأعوام 1929م و1936م و1948م.

وكم عانت البلدة من حكم جيش الانتداب البريطاني وممارساته القمعية في تفتيش البيوت بحجة العثور على سلاح، فيخلط الجنود مؤن المواطنين مع بعض ويخربون ويسرقون ما طاب لهم، وذلك بغياب أصحاب البيوت من أهلها الذين أخرجوهم من مساكنهم ليجمعوهم في أماكن خاصة ويحظروا التجوال في القرية. كانوا يجمعون النساء والأطفال في باحة مكشوفة أو في أحد البيوت التي تحوي باحة. أما الرجال فيجمعون في مركز آخر، ويجري استجوابهم من قبل الجنود تحت التهديد والضرب المبرح، وإذا تأكدوا أن صاحب البيت له صلة بالثوار يهدمون بيته بالمتفجرات، وكم هدمت بيوت في كثير من قرى فلسطين ومنهم قرية الفريديس. ومن ظلم سلطات الاحتلال انحيازها للمهاجرين الغرباء اليهود ومنحهم كل عوامل القوة مثل: منحهم الأراضي الفلسطينية الخصبة من أملاك الدولة العثمانية، وتنفيذ أوامر المحاكم التي أوصت بإخلاء الفلاحين من أراضٍ اشتراها الصهاينة عن طريق وكلاء من مغتربين ليسوا من فلسطين، كانوا استلموها من الدولة العثمانية، مثل سهل مرج ابن عامر ووادي الحوارث ومنطقة الحولة.

1. إغراق الأسواق الفلسطينية بالمنتجات الزراعية من حبوب وبقول، وعرضها لتضارب الإنتاج الزراعي الفلسطيني وتقضي على حياة الفلاحين.
2. وضع الضرائب على البيوت والبضائع والأراضي، وتحذير من ترك الأرض بدون استغلال وإلا تسحب الأرض من صاحبها إذا تركها أكثر من سنتين بدون زراعة.
3. السماح للمهاجرين اليهود بالدخول وتشجيع الاستيطان، وتنسق مع المنظمات الصهيونية لتنفذ وعد بلفور الاستعماري، رغم وعودها للعرب بالحد من الهجرة عبر الكتاب الأبيض الأول والثاني.
4. عدم التزامها بقرار التقسيم، ومحاولة ردع رجال الهاجاناه من احتلال المدن وبعض القرى، وجيش بريطانيا لا يزال على أرض فلسطين أي قبل إعلان انسحابه المقرر في 1948/5م، مثل حيفا ويافا وصفد والعديد من القرى قضاء يافا.
5. تأسيس بريطانيا جيشاً لإسرائيل القادمة بإشراك الهاجاناه من جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، وكان نواة الجيش الإسرائيلي، بينما كانت المشانق في عكا تعقد كل ثلاثاء من كل أسبوع لتقدم شهيداً على الأقل أسبوعاً، ولم نشاهد خلال هذه فترة الإعدامات أي مشنوق يهودي، علماً أن كثيراً منهم كانوا معتقلين في سجن عكا بعد أن ثاروا ضد الاحتلال البريطاني، وتعليق الجنود البريطانيين على فروع الزيتون وإعدامهم بالجملة. وكان المسؤول عن هذه الجرائم الإرهابي مناحيم بيغن الذي حكمت عليه بريطانيا بعد أن فجر فندق الملك داود عشرين عاماً، وبعد ذلك أصبح رئيساً لوزراء إسرائيل. وقد زرت بريطانيا عام 1977م ولمست الاستنكار، وكانت حجة الحكومة البريطانية

بأن الحكم سقط عنه لتقادم التنفيذ، لإمتعاض بين أساتذة جامعة درم. وفي هذا السياق أعرض للقارئ الكريم قصة تعبر عن ردود فعل البشر في محاربة القهر والظلم:
كنت من سكان عكا، وفي عام 1947م وفي شهر آب سمعنا انفجاراً هائلاً هز المدينة بشكل عنيف، وكنت أعمل في مكتب أحمد الشقيري الملاصق لسينما البرج فوق بوابة عكا القديمة، وما هي إلا لحظات وقد رأيت سيارة بيك أب مغلقة من فوقها بغطاء وهي تمشي باتجاه البوابة، وأمامها شخصان بلباس جنود إنكليز ويصرخون على الناس في الشوارع بالتزام المحلات. ولما خرجوا من البوابة لاقتهم سيارة جيب بريطانية قرب البوابة، وكان فيها جنديان من جنود الطيران (براشوت)، وعليها رشاش مركب على حامل. ولما رأى الصهاينة سيارة بريطانية أطلقوا عليها النار من رشاشاتهم، وقد أصابوا أحدهم الواقف خلف الرشاش (الهوشكز) فقتلوه فوراً. ولما رأى رفيقه ما حصل وكان يسوق السيارة، لحق بهم وقد ركبت دراجتي ولحقت بهم، وقالوا لي أنهم راحوا عن طريق صفد، وأخذت طريقاً مختصراً أعرفه، ووصلت إلى شمال تل الفخار بعد عين العجلة، ووجدت الجندي قد سبق سيارة الإرهابيين ووقف وراء الرشاش. وما أن اقتربت سيارة الإرهابيين وعرفت سيارة الجندي وأرادت الرجوع والهرب، فما كان من الجندي المفجوع بزميله إلا أن أطلق برشاشه على السيارة وقتل سائقها وانقلبت السيارة، وأخذ المساجين الذين فيها يهربون بين الزرع الجاف، فأخذ يضربهم ويلاحقهم برشاشه ويصليهم ناراً حامية. وكان الأولاد أمامي عندما يرى أحدهم بين الزرع فيصرخ للجندي بقولنا: مستر مستر هذا واحد، فيلقى مصرعه.
وبعد أن تم الجندي مهمته دخل سيارة (الجيب) ونقل رفيقه وضمه إلى صدره ولسان حاله يقول: "لقد انتقمت لك يا عزيزي"، ثم انطلق بسيارته راجعاً إلى حيث كان على شاطئ عكا الشرقي حيث نزل زملاؤه. واليوم لا أعرف مصير ذلك الجندي الذي قتل منهم 22 سجيناً مع جنديين من رجال مناحيم بيغن.

كان الهدف عند منظمة شتيرن تحرير جماعتهم من سجن عكا، إذ كانت الخطة أن تذهب ثلاث سيارات بيك أب إلى مدرسة البنات، وهناك يقومون بغلق الشوارع خلف السجن، ثم يركبون سلالم بحجة تصليح الكهرباء ويحفرون جدار السجن ويفجرونه بالاتفاق مع نزلاء السجن من اليهود، وهذا سبب الانفجار الذي عمل فتحة خرج منها السجناء اليهود، ثم تبعهم السجناء العرب.

6. التعاون البريطاني مع المنظمات الصهيونية العسكرية مما رأيته:

- أن الشهيد أحمد الحنيطي جاء بسيارة مسلحة من لبنان قاصداً حيفا للقاء القوات الصهيونية، عند عبور رأس الناقورة بين لبنان وفلسطين أخبر الضباط الإنكليز رؤساء اليهود بهذه السيارة.

ولما وصل الحنيطي إلى عكا حذره الأهالي بأن ينقل الأسلحة عن طريق البحر، ولكن الرجل رأى أنه يتأخر في نجدة إخوانه في حيفا وواصل طريقه، وبعد مغادرته عكا سمعنا من عكا انفجاراً ضخماً وعرفنا بعدها أن الشهيد دمر السيارة بالمتفجرات، واستشهد هو وزملائه، وقتل العديد من الصهاينة في مستعمرة موتسكن. وقد نقل خبر السيارة إلى الصهاينة موظفون إنكليز في رأس الناقورة، ولو أنه أخذ بنصيحة العكاويين لنجا. وقد تبع ذلك الحادث مباشرة رد ثوار عكا.

- توجه أربعة من مهندسي الكهرباء الصهاينة في سيارة إلى نهاريا بحراسة مصفحتين بريطانيتين، وعند قدومها تصدت القوات العكاوية لهما، فعطلت سيارة الحراسة الأولى، وتابعت سيارة المهندسين طريقها، وتناولها الحاجز الثاني وألقوا عليها القنابل عن سطوح المنازل، فقتل السائق وانقلبت السيارة، وأخرج المقاتلون من فيها وقتلوهم انتقاماً للشهيد الحنيطي ورفاقه. لقد شاهدت تلك الأحداث وكنت أراها أمامي، حتى أنني أذكر وأنا أرى جثث القتلى على الأرض، وقد حمل أحد الشباب (شبريته) وصاح قائلاً: (امشوا فوق جثثهم)، وقد حاولت بدوري أن أدوس ولم أكمل لأنني قرفت هذا المنظر، ولم أعد أميز وجه القتيل وقد دمر الرأس تماماً، وبين رعشات رجلي وهي تدوس وكأنني أدوس على فرشة إسفنج، ولم أكمل السير وتألمت من هذا المنظر غير الأخلاقي أبداً.

7. تسليم الإدارة العسكرية البريطانية جميع معسكراتها وما فيها إلى العصابات الصهيونية، وكانت هذه المعسكرات عوناً كبيراً للسلطات الصهيونية ساعدتهم في مواصلة الحرب ضد العرب.
8. لقد أعانت حكومة الانتداب المهاجرين الصهاينة لإنشاء دولة ضمن دولة، لإعلان الدولة الإسرائيلية التي يحتفل الإسرائيليون بقيامها في 28 نيسان من كل عام، بينما لم تسمح للعرب بأي جمعية أو منظمة أو إدارة يمكن اعتمادها لإدارة البلاد بعد رحيل الانتداب عن فلسطين.

هذا شيء من كثير مارسته حكومة الانتداب ضد شعب فلسطين العربي خلال ثلاثين سنة من الاحتلال، من وعد بلفور مروراً بإخماد ثورات عرب فلسطين حتى الجلاء عن فلسطين عام 1948.

أما ما قامت به الصهيونية وما لديها من إعلام، وما أكثره في تزييف الحقائق وقلب المفاهيم، وأركز على البعض منها:

إن فلسطين هي أرضهم، وأن اليهود وعدوا بها، بينما الآثار تثبت عكس ذلك، وأن شعب إسرائيل قد انتهى في حملات نبوخذ نصر ويوليوس الروماني في القرن السابع ق.م والقرن الأول ميلادي، حيث القائد

الروماني طيطس دمر الهيكل ولم يعرف مكانه. وأن الدين اليهودي يشكل قومية، وهذا مخالف لكل مقومات القومية، فالديانة اليهودية معتقد، وليس هناك ما يجمع اليهودي اليمني باليهودي الإسكندنافي واليهودي الخزري مع اليهودي الإفريقي، وإذا اجتمع خمسة من المهاجرين من بلدان مختلفة لا تجمعهم لغة أو دم، وهم بحاجة إلى ترجمان لتتم عملية التواصل فيما بينهم.

- قالوا إنهم انتصروا على سبعة جيوش عربية، وإن الواقع غير ذلك.
- إن جامعة الدول العربية تأسست عام 1945م، أي بعد الحرب العالمية الثانية، والدول السبع كانت تحت الاستعمار البريطاني والفرنسي، ولم يمض على استقلالها أكثر من ثلاثة أعوام. وكانت كلها مرتبطة بالإنكليز والفرنسيين، فالأردن كانت مرتبطة بالإنكليز، وجيشها يحكمه ويسيره الجنرال جلوب باشا، وهو القائد الفعلي للجيوش العربية العتيدة، والذي عزله الملك حسين بن طلال وتخلص منه.
- والعراق كان مكبلاً بمعاهدة مع بريطانيا وهي معاهدة 1936م، وأغلب ضباط الجيش من الإنكليز.
- ومصر كانت تحكم بنظام ملكي ومرتبط بمعاهدة مع بريطانيا، والجيش البريطاني جاثم على قناة السويس. وسورية كان لها جيش مستقل تنقصه المعدات والجنود المدربة، إذ قام الضباط الفلسطينيون عام 1949–1950 وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري بعد انقلاب حسني الزعيم على شكري القوتلي.
- والجيش اللبناني هو جيش مرتبط بفرنسا ولا يعنيه حرب إسرائيل لا من قريب أو بعيد. واليمن السعيد بعيد عنا آلاف الأميال وتحت حكم الإمامة الذي كان يبيع إمامهم طوابع البريد في ديوانه.
- والسعودية التي كان ملكها مشغول بتوطيد ملكه في الجزيرة العربية، وليس عنده القدرة لتحدي الدول الغربية التي كانت تخطط للسيطرة على إنتاج البترول وبشكل خاص الشركات الأمريكية. وقد سبق للأمين العام للجامعة العربية "السيد عبد الرحمن باشا" ومعه وفد فلسطيني يرجونه بأن يشترط على الشركات بأن تقف حكومتهم مع حق الشعب الفلسطيني وبشكل محايد لا أن تساعد الصهيونية، ولم يقتنع الرجل بهذا الطلب الذي كان لو تحقق لما خرج الفلسطينيون من ديارهم.
- هذه أوضاع الجيوش العربية التي تتبجح إسرائيل بأنها هزمت سبعة جيوش عربية، علماً أن شباب عرب فلسطين وقفوا ضد القوات الإسرائيلية، ولم تستطع الصهيونية احتلال أي قرية خاصة القرى التي كانت بالقرب من الجيش العراقي في منطقة جنين وطولكرم في بلدة الطيبة، إذ أن القوات

العراقية ساندت ثوار فلسطين في قرية إجزم وعين غزال وجبع. واستطاعت هذه القرى أن تصمد بعد سقوط حيفا بأربعة أشهر.

- كانت قوات الصهاينة تزيد عن 30 ألف جندي محترف خاضوا مع الحلفاء في الحرب الكونية الثانية، وكان لديهم 32 ألف مقاتل مدربون احتياط.
- قبل الهدنة الأولى كان النصر للعرب ضد القوات الصهيونية.
- تدخلت الدول الغربية لدى القادة العرب وأقنعوهم بالهدنة، واستغل الصهاينة هذه الهدنة فأخذوا يجمعون الأسلحة ووسائل حربية جديدة ومنها الطيران، فيما لم توجد طائرة واحدة تدخل أرض فلسطين.
- إخراج جيش الإنقاذ من المعركة على أساس أن تحرير فلسطين مهمة الجيوش العربية التي استخدم بعضها أسلحة فاسدة كانت تقتل صاحبها أحياناً، مثل الأسلحة المصرية التي كانت مصر حينها مكبلة بمعاهدة والجيش البريطاني صاحب وعد بلفور يحتل قناة السويس.

هذا قليل من كثير وتقصير الجامعة العربية العتيدة، والتي بدأت بسبع دول والآن باتت تضم (21) دولة قطرية تتنافس مع بعضها، والضعف ينهش أهلها وسفاءها: كلاب للأجانب هم، ولكن على أبناء جلدتهم أسود.

المراجع:

(1) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير، مروان الماضي.

(2) بلادنا فلسطين، ج1، مصطفى الدباغ.

(3) الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

الفصل التاسع

أدب المقاومة السلمية

لعبت المقاومة الفكرية الفلسطينية دوراً رائداً في مقاومة الطامعين بأرض العرب وبشكل خاص فلسطين، وكانت الثقافة الفلسطينية الفكرية هي المتقدمة منذ انتهاء الحكم العثماني، وتنبه أبناء فلسطين قبل غيرهم بالخطر واستعدوا له بالعلم والمعرفة، وانخرط نشاطهم في وحدة العرب، وكان المتنورون منهم يسعون إلى وحدة العرب فقوتهم بوحدتهم، ولم يفكروا مطلقاً بالقطرية، فقد جمعتهم الجامعة العربية بميثاق هد جمعهم، ونشأت الجامعة بسبعة دول وصارت الآن 21 دولة، فضاعت الأمة وتفسخت أوصالها بقادة قاتلوا الوحدة واجتثوا جذورها، ونحن نرى إن جاء الدور على الإسلام يجردونه من الرحمة والسلام والإخاء، يزورون ويشوهون المفاهيم والحقائق، ينهبون أموال العرب بأيدي سفهائهم، يحرمونها على شعوبهم ويحللونها لعدوهم الذي ضبعهم بخلق عدو جديد، يهرولون في نجدتهم وهم أصل الفتن والبلاء. إنني يا أخوتي عندما أكتب عن القرى التي باتت مدناً وبلدات في فلسطين، رأيت ولمست أبناء هذا الشعب كم هو جبار حقاً، إذ ليس هناك قوة في العالم تستطيع إذلاله، وإني أقدم للقارئ كيف يسعى هذا الشعب في حبه لوطنه أن يعمل المعجزات، وقد فعل، ومنها قوته الفكرية التي تجاوزت ثقافة أبناء العرب أجمعين، وتتجلى بما يلي: المجموعة بالصراع السياسي–الاجتماعي داخل فلسطين المحتلة، ولا تغيب عنها الروح التفاؤلية.[1]

التمثيل والمسرح

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى.

وقد نشطت الحركة في المدارس، إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية كل عام دراسي. وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات، وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين، مثل مسرحيات موليير وكورني وشكسبير. بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمتهم، فقد ظهرت مسرحيات "جابر عثرات الكرام" و"جريح بيروت" و"عنترة العبسي" و"صلاح الدين الأيوبي" و"مملكة أورشليم" و"طارق بن زياد" و"فتح الأندلس". وفي العقد الثاني من القرن العشرين برز اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي، وهما خليل بيدس الذي أخرج بين عامي 1924–1928م في الناصرة مسرحية (السموأل) أو "وفاء العرب" لأنطوان

[1] الموسوعة الفلسطينية، خاص مج5، ص 25.

الجميل. أما الثاني فهو الشيخ محمد الصالح، مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية. وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية "عبد الكريم الخطابي" التي تندد بالاستعمار الإسباني في المغرب، وذلك بين عامي 1927–1928م.

وقد زارت الفرق المسرحية الثلاث المصرية (فرقة جورج أبيض وفرقة رمسيس وفرقة نجيب الريحاني) فعرضت مسرحياتها في القدس، فألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها، فأقبلوا على التمثيل. ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين فرقة نصري الجوزي، إذ كان يديرها ويكتب لها ويمثل فيها. وتأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية، منها جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة اسكندر أيوب، وقد مثلت رواية "هاملت" لشكسبير، وكانت من أقوى الفرق التمثيلية. وتتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن يافا وعكا والقدس. وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية.

ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في 1936/4/1م، وأدار القسم العربي منها الشاعر إبراهيم طوقان، راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة وشجع التأليف بالاعتماد على التراث العربي، رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له، وتحدى الجميع وشجع فرقة (الحوزي).

أول فرقة إذاعية على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية، وأشهر الفرق هي فرقة موسى سالم سلامة، وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد وحسين عفيفي. من أوائل الذين ساهموا بالتأليف المسرحي محمد عزة دروزة، صاحب رواية "وفود النعمان على كسرى أنو شروان" التي طبعت في بيروت عام 1918م، ثم تحولت إلى مسرحية مثلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس.

ومن رواد كتابة المسرحية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل، إذ كتب مسرحية "شمم العرب" سنة 1914م، ومسرحية أخرى "وفاء العرب" سنة 1929م. وكان أول من كتب للمسرح المدرسي نصري الجوزي عام 1935م، وله مجموعتان "ذكاء القاضي" و"العدل أساس الملك" أو"لن أبيع أرضي" و"عيد الجلاء" و"فلسطين لن ننساك". وفي عام 1934م أقدم المدرسان شقيق ترزي ووديع ترزي بتأليف مسرحية "في سبيلك يا وطن"، وقد لاقت رواجاً مرموقاً.

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم، وهو من مواليد الناصرة، وكان يصلح اللغة العربية في بيت لحم والقدس، وله عدة مسرحيات مدرسية: "السجناء الأحرار – غرام الميت – قبلة المحبة – صراع بين العلم والإيمان.... إلخ."

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا، ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية "حسن" وترجمت للغة العربية ومثلت في القدس في الأربعينيات، ثم "والي عكا" التي مثلت بنجاح على المسارح في ألمانيا.

وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقد قدم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين المسرحيات الشعرية التالية: "وطن الشهيد" عام 1947م، "شيخ الأندلس" 1949م، "حرب القادسية" 1951م، "الفداء" 1968م.

وأصدر الشاعر محي الدين الحاج عيسى المولود في صفد سنة 1897م مسرحية "مصرع كليب" 1947م، "أسرة الشهيد" عن أحداث النكبة سنة 1966م، وهو صيدلي وبقي في حلب.

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح، فكتبت الأديبة المعروفة أسمى طوبي عدداً من المسرحيات عام 1938م، مثلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة، وهي "نساء وأسرار"، و"صبر وفرج"، "قيصر روسيا ومصرعه"، "أصل شجرة الميلاد."وكتب غسان كنفاني من المسرحيات (الباب، القبعة والنبي، جسر إلى الأبد) وصدرت جميعها سنة 1978م بعد استشهاده.

تأسس مسرح الغربال في شفاعمرو وهو أكبرها، وهو مسرح قومي عربي، وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف. وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال في نحو نشاطاتها المتنوعة الأهداف. إلا أن سلطات الاحتلال كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات. وقد تعرضت فرق المسرحية لنوعين من الرقابة: فرقة تعمل داخل الخط الأخضر وأخرى في خارج خط الجدار (الضفة الغربية)، خاصةً في المناطق الواقعة تحت مراقبة الحاكم العسكري الذي حاول القبض على أعضاء الفرق المسرحية. وقد منعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري وحسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم. ومن جملة المسرحيات التي منعت من العرض مسرحية "أنا راجع يما" لمسرح آذار، ومسرحية "رجال في الشمس"، ومسرحية "كان الموت ونحن على الميعاد" لمسرح أبناء شفاعمرو. ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن تعرض في مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة، وهددت المشاركين في المسرحيتين بالاعتقال ومداهمة القاعة أثناء عرض المسرحية وضربهم على خشبة المسرح، والمسرحيتان هما (ثمن الحرية) لمسرح عبلين ومسرحية (الناطور) لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة. كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية "يوم الطاحونة" يوم أن أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون، واحتجزت الرقابة نص مسرحية (إجازة) لمسرح الغربال ستة أشهر ثم اضطرت إلى السماح بعرضه. وإن فرقة الغربال في شفاعمرو تأسست عام 1967م، وقد قدمت كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر (رجال في الشمس – بنادق السيدة كرام – الملك هو الملك – والحضيض – الصوت الغجري). كما أصدر مسرح الغربال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية (كفى)

التي عرضها على خشبته. وبادرت فرقة الغربال إلى إقامة مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين، وقد عقد في شفاعمرو بتاريخ 6،7،8 /1982/9م. وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل. وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان، هما (ثمن الحرية لفرقة الشبيبة الشيوعية في طمرة للكاتب سليم مخولي). وقامت الشرطة أيضاً باستدعاء مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم. وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء "رابطة المسرح العربي". وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي، فنشأت في عام 1982م المؤسسة الشعبية للفنون ومقرها (حيفا) ويديرها الشاعر سميح القاسم.

ومن الخطوات والنشاطات الملقاة على الفنانين الفلسطينيين العرب الدعاية في الخارج والتركيز على زيف الدعاية الصهيونية، وذلك بإظهار الحقائق بالوثائق والحجة القانونية، كشف زيف الدعاية الصهيونية بأن المقاومة (إرهاب)، بإبراز ما قامت به إسرائيل ومنظماتها الإرهابية، وتوضيح محاصرة غزة لزمن طويل ولا يزال على مرأى وسمع العالم كله.[1]

وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كانت أبرز العروض لها (يونس الأعرج) لناظم حكمت. وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي، وقد رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة تخدم الأهداف الوطنية العامة التي يريدون تحقيقها، وأصبحت تلك الأناشيد مشهورة تطبع على أسطوانات تباع في الأسواق وتوزع على كل أنحاء فلسطين. وقد لفت النظر إلى نشاط فرقة الفنون الشعبية (بلالين) ومدى تطورها، وما قدمته من رقصات شعبية، وتجلت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب/1973، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة. وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين. وفي 1975/4/28 شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي بلالين (وبلا–لين) ودبابيس وكشكول، وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول/1973. وأتيح لتجربة بلالين أقوال نقدية تؤرخ سيرتها مثل عطية أبو رميلة وفوزي السكري وواصف ضاهر وإيليا الشوملي ونجوى قعوار فرح. وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، وتعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها

عادةً سامح العبوشي أو فرانسوا أبو سالم. والمسرحيات التي لـ (بلالين) هي: "قطعة حياة والعتمة"، و"نشرة أحوال الجو"، و"الكنز"، و"تع تخرفك يا صاحبي". ويرى محمود شقير أن أبرز القضايا والمضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

1. انتقاد التخلف الاجتماعي وتسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية ومتخلفة، مثل (قطعة حياة) و(العتمة).
2. معالجة أوضاع المرأة في المجتمع الفلسطيني وضرورة منحها الفرصة في ممارسة مسؤولياتها في المجتمع (قطعة حياة والعتمة).
3. النقد الحاد للأفكار الغريبة التي تسهم في إشاعة الروح الاتكالية بين الجماهير (نشرة أحوال الجو).
4. إبراز أهمية الأرض وضرورة المحافظة عليها وعدم التفريط فيها ثم صيانتها من طمع الغرباء والغزاة (الكنز).
5. تصوير الأوضاع القاسية التي تعيشها الجماهير في ظل الاحتلال وضرورة تجاوز هذه الأوضاع بتوحيد الجهود وتحمل المسؤولية في (العتمة).
6. إبراز الدور القيادي للطبقة العاملة في عملية بناء المجتمع وتطويره من حيث الطبقة الأكثر ثورية والمنتجة للخير المادي (الغنمة).

وفي تجربة بلالين جوانب مضيئة في تجربة المسرح الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948، إذ قررت إنشاء "جريدة المسرح"، أي أن يقوم عدد محدود من ممثليها تقديم عرض مسرحي لا يتجاوز خمس دقائق بإحدى المدارس أو على ناصية إحدى الشوارع بهدف تثقيف الجماهير مسرحياً. وقد أسست الفرقة أيضاً مجموعة أصدقاء (بلالين) التي تتكون من شبان وشابات يهتمون بالمسرح ويقومون بالدعاية لأعمال الفرقة، ويلصقون الإعلانات على الجدران ومناصريها. ولكي تغطي الفترات الواسعة بين عروض المسرحية، قدمت (بلالين) كثيراً من العروض الخفيفة التي أطلقت مجازاً اسم "بستان (بلالين)"، وذلك أن هذه الأعمال المسرحية القصيرة كانت تجري في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة.

وقد كان أبرز العروض (يونس الأعرج) لناظم حكمت. وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي، رأى أعضاؤها ضرورة تضمين بعض الأناشيد والأغنيات ذات الصلة الوثيقة بالأهداف الوطنية العامة التي يرمون إلى تحقيقها، فأصبحت تلك الأناشيد والأغنيات تنزل على أسطوانات يجري بيعها وتوزيعها في مختلف أنحاء فلسطين. وقد لفت نشاط فرقة الفنون الشعبية التابعة و(بلالين) ومدى

تطورها الفني من خلال المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب عام 1973م، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان آتيةً من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة. وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين. وفي 1975/4/28م شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي (بلالين) و(بيالين) و(دبابيس) و (كشكول). وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول عام 1973م، وأتيح لتجربة (بلالين) أقوال نقدية تؤرخ مسيرتها مثل عطية أبو رويلة وفوزي البكري وواصف ضاهر وإيليا الشوملي ونجوى قعوار فرح.[2]

أما الكاتب اللامع إميل حبيبي ومسرحية المأساة في (لكع بن لكع): فقد أصدر الروائي حبيبي حكاية مسرحية "لكع بن لكع" راوياً سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام 1948م حتى أواخر السبعينات، مروراً بأحداث الأردن ولبنان ومعاهدة كامب ديفيد، في ثلاث فصول أو ثلاث جلسات أمام صندوق العجب. وحكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن المسرحي، وذلك أنها لا تقع على وحدة الزمان والمكان، ولا نشعر بترابط الأحداث أو تناميها. فكل فصل قائم بذاته، وكل مشهد وحدة مستقلة. ويصدِّر حبيبي مسرحيته بحديث نبوي شريف يستخدمه عنوانها: "لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن لكع". واللكع هو اللئيم والعبد والأحمق، ومن لا يتجه نحو المنطق ولا غيره. وكان الكاتب يشير إلى نهاية الحاكم المتسلط ودنو نصر الشعب. والإهداء إلى حنين وفرح (حتى يكون اللقاء بينهما فرحاً) فالأول الفلسطيني تحت الاحتلال والثاني هو الفلسطيني عبر الحدود، ويتعزز الإهداء بمقطع من قصيدة لتوفيق زياد تتصدر المشهد الأول من الجلسة الأولى: "أنا معكم أشد على أياديكم وأبوس الأرض تحت نعالكم / وأقول أفديكم / فمأساتي التي أحيا نصيبي من مآسيكم."(موسوعة الفلسطينية، مجلد 4 خاص، ص 233، محمود شريح).

ويعلن إميل حبيبي في المشهد الأول من الجلسة الأولى خروجه عن المألوف في البناء المسرحي: "لا مسرح ولا من يتعبون. بل جمهور من أهل الحارة ونحن من أهلها يجتمعون لقضاء أمسية أسطورية مع صندوق العجب". ويوضح الهوية "المتشائمة" للمسرحية: "فقد قيل لنا أن ثمن الفرجة على صندوق العجب رغيف من الخبز العربي الذي لأمر ما أبقوا على عروبة اسمه، وقد وقعوا في هذا الإهمال الأمني حرصاً على الاضطهاد القومي الذي في البدء كان برغيف الخبز العربي في بلادنا أغلى ثمناً من الخبز الإفرنجي بقرار من الدولة، وما أدراك ما الدولة قطعت عنه الإعانة الحكومية المقررة لسواه."

وبطلة الفصل الأول هي (بدور) أو مجنونة بدر، وبدور هي الأرض والقضية والأم الرمز تحن إلى أبنائها. وبطل الفصل الثاني هو بدوره رمز الإنسان الفلسطيني الرافض للمساومة والمتشبث بأرضه. أما بطل الفصل الثالث فهو (المهرج) رمز الإنسان العربي الذي يعاني التشرد والغربة. ولأسماء الشخصيات الأخرى دلالات

عميقة، فسعدي هو الإنسان العربي، وسعادية هو اليهودي، وبدران وبدرية وبيدر هم رمز الشباب العربي الواعي، وأبو شارب هو رمز الفلسطيني الواعي، وأبو شاربين رمز الفلسطيني المندفع، وشارب الدم رمز الفلسطيني المتطرف، وشهرزاد دلالة على البرجوازية العربية، والسندباد يرمز إلى الشعوب العربية، وقلب الأسد للصهيونية المتعفنة. وست الحسن والجارية نموذج للإمبريالية. وهؤلاء كلهم يشتركون في صندوق العجب أو صندوق العجائب، يصوروا ثلاثة عقود من التحول السياسي العنيف الذي طرأ على فلسطين وأهلها وجوارها. ولغة المسرحية تستفيد من التراث الشعبي ولاسيما قصة الزير سالم أبي ليلى المهلهل الكبير، فتظهر اقتباسات حبيبي منها، ويبرز تأثره بها حين يلجأ إلى السجع والجناس والتلاعب.

ومن رواد الفن السينمائي في الوطن العربي آل لاما من بيت لحم[3]، قام السيد عبدالله إبراهيم الأعمى من بلدته بيت لحم مهاجراً إلى تشيلي في أمريكا الجنوبية، وتزوج من امرأة فلسطينية مهاجرة اسمها (ليزا خليل بشارة) في عام 1850م، وأنجبت له ثلاثة أبناء "عيسى، إبراهيم، بدر". وقد تعلم إبراهيم وأخوه فن التمثيل والكتابة والإخراج، وقررا التوجه إلى حيفا بفلسطين ليؤسسا مركزاً للتمثيل هناك، وسافرا بحراً في باخرة قاصدين مصر أولاً، وعند اقترابهم من ساحل الإسكندرية تعرض بدر لوعكة صحية، فنزلا إلى المدينة للعلاج فاستأجرا بيتاً فيها وطاب لهما المقام، وقررا العمل بالسينما المصرية، فأسسا شركة "كوندور فيلم" عام 1927م في الإسكندرية لعمل أفلام سينمائية مصرية تصور في مصر. وكان أول فيلم قدماه فيلم روائي مصري صامت في تاريخ السينما المصرية وهو (قبلة) للأفلام والفنانين السينمائيين. في مطلع القرن العشرين وتحديداً في العقد الثالث ظهر الأخوان بدر وإبراهيم الأعمى اللذان اتخذا مهنة التمثيل والتصوير والإخراج السينمائي وذلك في تشيلي بأمريكا الجنوبية، وعمدا إلى العودة للعمل في موطنهما فلسطين. وإليك عزيزي القارئ نبذة قصيرة عن جهودهما وما قدماه من ولادة التمثيل السينمائي:

- **بدر عبد الله إبراهيم الأعمى (لاما)** :ولد بتشيلي في 1907/4/23، وهو ممثل سينمائي فلسطيني، هاجر في بداية حياته إلى أمريكا الجنوبية ثم رجع مع أخيه إبراهيم إلى مصر بالباخرة ومعهم المعدات والكاميرات وكل ما توفر لهم من أجهزة للعمل في حيفا، ولكن بسبب مرض بدر توجهوا إلى الإسكندرية للاستشفاء، وهناك استقرا وكونا ثنائياً ناجحاً وعملا معا في الكتابة والتمثيل والإخراج، ثم أسسا سوياً شركة إنتاج سينمائي تدعى "كوندور فيلم". وعقب انتهائه من فيلم (البدوية الحسناء) في عام 1947، أصيب بدر لاما بذبحة صدرية توفي على أثرها في 1947/10/1. وقد أقام أهالي بيت لحم حفلة تأبين لإحياء ذكراه. وبعد وفاة بدر:

اختار إبراهيم ابنه سمير عبد الله ليحل محل عمه بدر، فشارك سمير بطولة فيلم (الحلقة المفقودة) مع الممثلة الشابة الصاعدة فاتن حمامة في عام 1948، كما الممثلة عفاف شاكر في فيلم (سكة

السلامة) في عام 1949، والفنانة شادية في فيلم (عاصفة في الربيع) في عام 1951، والممثل بشارة واكيم في فيلم (كنز السعادة)، والممثلة ماجدة والممثل محمود المليجي في فيلم (القافلة تسير). وفي غفلة من الزمن اندلعت النيران والتهمت جميع محتويات استوديوهات لاما بما فيها من أشرطة أفلام، وتوالت النكبات على العائلة، ودب الخلاف بين إبراهيم وزوجته انتهى بموت إبراهيم في ليلة 12 مايو 1953. وتراكمت الضرائب على الاستوديوهات انتهت بختمها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة. أما جوزفين سركيس (بدرية رأفت) أرملة المرحوم بدر، فلم تقم إلا بدور بطولة واحد في فيلم (اللقاء الأخير) في عام 1953 مع عماد حمدي ومحسن سرحان وزهرة العلا، ثم اعتزلت السينما لتكرس حياتها لبناتها وأحفادها. أما سمير عبد الله إبراهيم لاما، وبالرغم من محاولاته المتكررة في العمل السينمائي بما فيه تجربته القصيرة في لبنان في الستينات من القرن العشرين كأفلام (وادي الموت) و(صقر قريش) (القاهرون)، إلا أن الحظ لم يحالفه فاعتزل العمل السينمائي.

أهم أفلامهم السينمائية:

- فيلم قبلة الصحراء عام 1927.
- فاجعة فوق الهرم عام 1928.
- معجزة الحب عام 1931.
- شبح الماضي عام 1934.
- معروف البدوي عام 1935.
- الهارب 1936.
- عز الطلب 1937.
- نفوس حائرة 1938.
- الكنز المفقود (قيس وليلى) 1939.
- رجل دين بن امرأتين 1940.
- صلاح الدين الأيوبي 1941.
- ابن الصحراء 1942.
- عريس الهنا 1944.
- البيه المزيف 1945.
- البدوية الحسناء 1947.

إبراهيم لاما: سبق لأبيه عبد الله إبراهيم سعيد الأعمى، حارة الفرحية في بيت لحم ولد فيها في منتصف الصحراء إذ عرض في سينما "الكوزموجراف" في الإسكندرية.

وفي عام 1930 انتقل الأخوان إلى القاهرة بعد أن اتسعت مشاريعهما السينمائية، وبعدما قدما فيلمهما الثاني (فاجعة فوق الهرم) عام 1928م بطولة بدر لاما وفاطمة رشدي، ثم أسسا استوديو لاما.

إبراهيم لاما هو أول من صور في غابات السودان وكينيا وأحراشها ليصور فيلمه (الحلقة المفقودة) عام 1948 و(القافلة تسير) عام 1951م.

قدم إبراهيم لاما للسينما المصرية 30 فيلماً خلال 24 سنة، وعمل مع كبار النجوم مثل" فاطمة رشدي، آسيا داغر، ماري كويني، بهجة حافظ، زكي رستم، أمينة رزق، بديعة مصابني، رجاء عبده، مديحة يسري، ليلى فوزي، شادية، بالإضافة إلى شقيقه بدر وابنه سمير.

تعرض الاستوديو لحريق والتهمت النيران كل محتويات أستوديوهات لاما من أشرطة الأفلام، وتوالت النكبات وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات ثم تبعها إغلاقها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة.

دب الخلاف بين إبراهيم وزوجته وانتهى بموت إبراهيم (انتحاراً) في ليلة 1953 بعد أن أطلق النار من مسدسه على زوجته ثم أطلق النار على نفسه وانتحر.

المراجع

(1) الموسوعة الفلسطينية، خاص ج2، ص 233، محمود شريح.
(2) الموسوعة الفلسطينية، خاص ج5، ص 25.
(3) الموسوعة الفلسطينية، خاص ج5، ص 164.

الفصل العاشر

انتفاضات شعب فلسطين

واقع الفلسطينيين بعد النكبة (عرب 1948)

بعدما عرضنا ما قام به الانتداب البريطاني في فلسطين من أنشطة لتثبيت وعد بلفور وقهر أصحاب البلاد، لا بد من استعراض ما فعلته الدولة المحتلة بالشعب الفلسطيني الذي بقي في أرضه بعد النكبة، والذين يطلق عليهم "عرب 1948"، وقد بلغ عددهم آنذاك 120 ألف نسمة.

مارست السلطة المحتلة بحق هؤلاء إجراءات قاسية، منها:

- سمتهم "سكان 1948"، ومنحتهم الجنسية الإسرائيلية، وجردتهم من الجنسية الفلسطينية التي كانوا يتمتعون بها رسمياً في زمن الانتداب. كان هذا القرار مجحفاً وفرض عليهم حياة في جحيم.
- لاحقاً، وتحت ضغط من الرأي العام العالمي الذي بدأ يميل نحو العرب، أزاحت السلطات عنهم الأحكام العسكرية ومنحتهم حرية حركة مقننة، والعمل في التجارة والصناعة. كما سمحت لبعض القرى بتأسيس بلدياتها، مع تخصيص ميزانيات متواضعة لإحداث مرافق أساسية كالكهرباء والماء والهاتف.
- ورغم ذلك، لم يسمح بالبناء إلا عبر رخصة رسمية، كانت تكلف صاحبها الكثير من الوقت والمال، وكثيراً ما قوبلت الطلبات بالرفض.

مظاهر التمييز العنصري

تجلت العنصرية بكل أشكالها، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **العمالة والوظائف** :كان هناك تمييز واضح بين المواطن العربي والمستوطن اليهودي، حتى لو تساوت المؤهلات أو تفوقت قدرات الفلسطيني الذهنية والمهنية.
- **الرواتب** :يحصل المستوطن على راتب أعلى من نظيره العربي، حتى مع تساوي المهنة والمؤهلات.
- **التعليم** :تتعامل السلطات مع التعليم في البلدات العربية كدرجة ثانية، سواء من حيث جودة البناء والمرافق، أو الميزانيات المخصصة للمدارس العربية مقارنة بمدارس المستوطنات.
- **الأراضي** :تعاني البلدات العربية من نقص حاد في الأراضي المخصصة للبناء، لأن السلطات صادرت معظم أراضي القرى ومنحتها للمستوطنات المجاورة.

- **التمثيل السياسي** :على الرغم من أن النواب العرب في الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) يحق لهم الدفاع عن مطالب جمهورهم، وقد شكلوا كتلة موحدة ذات تأثير، إلا أنهم يواجهون اتهامات متكررة بكونهم "الطابور الخامس" أو "القنبلة الموقوتة"، وتعرض بعضهم للطرد.

ما بعد حرب 1967

بعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة، حاولت السلطات فتح باب اللقاءات بين الفلسطينيين في هذه المناطق وإخوانهم في الداخل، طمعاً في أن يؤثر هؤلاء على أهل الضفة والقطاع لصالح إسرائيل. لكن سرعان ما تبين لهم أن أملهم ذهب هباءً. توحدت المشاعر العربية، وزاد تعلق الفلسطينيين في كل مكان بأرضهم. بعد أشهر قليلة، أوقفت إسرائيل هذه اللقاءات وطبقت سياسة الحكم العسكري على الضفة والقطاع.

واجهت المقاومة الاحتلال بكل الوسائل، عبر رؤساء البلديات والمظاهرات. ردت إسرائيل بالنفي والسجن والاغتيال، كما حدث مع رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة، في عملية إرهاب دولة منظم.

يوم الأرض والمقاومة في الداخل

في **30آذار عام 1976**، خرج أبناء فلسطين في إضراب عام شامل، عُرف بيوم الأرض، تضافرت فيه كل الفعاليات. بدأت المسيرات من بلدة سخنين في الجليل الغربي، وتخللتها أناشيد وهتافات لمنظمة التحرير الفلسطينية. برزت شعارات مناهضة لإسرائيل على الجدران في قرى الجليل وشفا عمرو وعكا، وبات رفع العلم الفلسطيني حدثاً يومياً تشير إليه الصحف.

وفي منتصف تشرين الثاني، بعد أن قامت السلطات الإسرائيلية بتدمير خمسة عشر بيتاً في قرية الطيبة، أضرب عرب الداخل إضراباً شاملاً أطلقوا عليه اسم "يوم السكن"، لتتصاعد وتيرة الشعارات المعادية للاحتلال.

وفي حزيران عام 1967، احتلت إسرائيل بلدة أم الفحم وطردت مئات العائلات وحرمتهم من العودة إلى منازلهم.

الانتفاضة الأولى: انتفاضة الحجارة (1987)

كانت شرارة الانتفاضة الأولى من مخيم جباليا في قطاع غزة في 9 **كانون الأول (ديسمبر) 1987**، أثناء تشييع أربعة شهداء سقطوا قرب حاجز إيرز. أطلق الجنود النار مجدداً، فاستشهد شخصان وجرح ستة وعشرون آخرون بينهم أطفال. عمت الانتفاضة قطاع غزة ثم امتدت إلى الضفة الغربية.

في اليوم الثالث عشر، شهدت البلاد إضراباً عاماً لم تشهد له مثيلاً منذ الاحتلال. بدأ اليوم بتلاوة القرآن في المساجد وقرع أجراس الكنائس، وانطلقت الجماهير في كل المدن والمخيمات. خرجت جماهير الأرض

المحتلة عام 1948 في الناصرة وحيفا وعكا وحتى صحراء النقب، كما شارك أهل الجولان في مجدل شمس.

نتائج الانتفاضة الأولى:

- **الخسائر البشرية** :استشهد 1162 فلسطينياً بينهم 241 طفلاً، وأصيب نحو 90 ألفًا، واعتقل 15 ألفًا. من الجانب الإسرائيلي، قتل 160 إسرائيلياً بينهم 5 أطفال.
- **الخسائر المادية** :دمر الاحتلال 1228 منزلاً، واقتلع 140 ألف شجرة. افتتحت إسرائيل سجوناً جديدة لاستيعاب الأسرى، أبرزها سجن كتسيعوت في النقب عام 1988.
- **النتائج السياسية** :حققت الانتفاضة اعترافاً دولياً (أمريكياً وإسرائيلياً) بأن سكان الضفة والقطاع جزء من الشعب الفلسطيني وليسوا أردنيين. أدركت إسرائيل أنه لا حل عسكري للصراع، وبدأ البحث عن حل سياسي، مما مهد لمؤتمر مدريد ولاحقاً لاتفاق أوسلو.

من الانتفاضة إلى أوسلو

أدت حرب الخليج الثانية إلى تغيير في المزاج الإسرائيلي، وشعرت إسرائيل بثقة أكبر للقيام بمبادرات سياسية. انعقد مؤتمر مدريد للسلام، تلته مفاوضات سرية أدت إلى **اتفاق أوسلو**، الذي نص على:

- انسحاب إسرائيلي تدريجي من المدن الفلسطينية، بدءاً من غزة وأريحا عام 1994.
- اعتراف متبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل.
- إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية.
- توقيع "أوسلو 2" عام 1995 لتوسيع الحكم الذاتي وإجراء انتخابات فلسطينية عام 1996، ونقل صلاحيات في مجالات التعليم والصحة والثقافة والسياحة والضرائب.

الانتفاضة الثانية: انتفاضة الأقصى(2000)

شعر الفلسطينيون بإحباط شديد مع نهاية الفترة المقررة لتطبيق الحل النهائي، بسبب مماطلة إسرائيل وجمود المفاوضات، واستمرار الاستيطان والاغتيالات والاجتياحات، ورفض الإفراج عن الأسرى وعودة اللاجئين.

كانت شرارة الانتفاضة في **28أيلول (سبتمبر) 2000**، عندما اقتحم أرئيل شارون المسجد الأقصى وتجول في ساحاته، معلناً أن الحرم القدسي سيبقى إسرائيلياً. اندلعت المواجهات مع المصلين، وسقط سبعة شهداء و 250 جريحاً.

تميزت هذه الانتفاضة بطابعها المسلح. استمرت حتى **8شباط (فبراير) 2005** بعد قمة شرم الشيخ.

نتائج الانتفاضة الثانية:

- **الخسائر البشرية** :استشهد 4412 فلسطينياً، وجرح 48322. قتل من الجانب الإسرائيلي 1069 (334 جندياً و 735 مستوطناً).
- **الخسائر العسكرية** :تدمير 50 دبابة ميركافا إسرائيلية، والعديد من الجيبات والمدرعات.
- **النتائج على الفلسطينيين** :اغتيال معظم القيادات الفلسطينية البارزة (ياسر عرفات، أحمد ياسين، عبد العزيز الرنتيسي، أبو علي مصطفى)، وتدمير البنية التحتية، وبناء جدار الفصل العنصري.
- **النتائج على الإسرائيليين** :انعدام الأمن وضرب السياحة بسبب العمليات الاستشهادية، مقتل وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام زئيفي، فشل الجيش الإسرائيلي في كسر شوكة المقاومة في معركة مخيم جنين (التي قتل فيها 58 جندياً)، وضرب اقتصاد المستوطنات.

الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى

بعد فشل المفاوضات وتصاعد الصراعات العربية، نشطت إسرائيل في سياسة الاستيطان وتهويد القدس. تصاعدت وتيرة الاعتداءات: نهب الأراضي، نسف البيوت، مهاجمة المواطنين، حرق أشجار الزيتون، واعتقال النشطاء.

كان آخر الاستفزازات الكبرى إغلاق المسجد الأقصى المبارك يوم الجمعة **14تموز (يوليو) 2017**، وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين. خرج المقدسيون في تحدٍ واضح، واحتشدوا حول أبواب المسجد وأدوا صلاة الجمعة، متصدين بصدورهم للجنود. اشتبكوا مع قوات الاحتلال بأيدٍ فارغة، مؤكدين للعالم أن حرمة الأقصى أغلى من الروح.

إن ما تقوم به الصهيونية من عنصريّة وقتل أصبح عبئاً على العالم الذي يكتوي بنارها. لكن التاريخ يثبت أن الظلم زائل، والعدل والمساواة هما سمة البشرية في مواجهة الأشرار، وأن شعب فلسطين سيظل الشوكة التي تنغص حياة المحتلين.

المراجع

1. الموسوعة الفلسطينية (خاص، ج6، ص 1006) – شفيق الحوت وبيان نويهض.
2. الموسوعة الفلسطينية (خاص، ج6، ص 1008).
3. الموسوعة الحرة – ويكيبيديا.

المؤلف في سطور

- ثانوية عامة آداب (اجتماعيات).
- بكالوريوس آداب قسم (الجغرافية).
- دبلوم عام في التربية من جامعة دمشق.
- شهادة في التوجيه التربوي أونروا/ يونيسكو.
- شهادة تربوية في تدريب المعلمين أثناء الخدمة.

الأعمال التي شغلها:

- معلماً للابتدائي والإعدادي والثانوي ومدرساً لمادة التقنيات التربوية في كلية التربية بجامعة دمشق.
- مدرب للمعلمين في مدارس الأونروا في تدريس مادة الاجتماعيات لمدة 23 سنة.
- مشرف على إدارة دورات التوجيه والإرشاد في مدارس الأونروا في مدارس الوكالة، وموجهاً لمادة الاجتماعيات في مدارس الأونروا لمدة أربع عشرة سنة.
- عمل موجه لمادة الوسائل السمعية والبصرية في مدارس الأونروا لمدة سبع سنوات.
- أمين صندوق في رابطة الطلاب الفلسطينيين في سورية لمدة سنتين (اتحاد طلاب فلسطين).
- أمين سر الجمعية الجغرافية الفلسطينية في سورية.
- عضو باتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين العرب في سورية

مؤلفاته:

1) بلدة كفرسوسة (رسالة جامعية للتخرج).
2) قرية إجزم.
3) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير.
4) الإدارة الأميركية المحافظة وتسيس نبوءات التوراة.
5) الإمبريالية المتصهينة والتمييز العنصري.
6) مذكراتي.

كتب قيد النشر			
مشروع قرى وبلدات فلسطين أصبحت مدناً بالتعاون مع موسوعة القرى الفلسطينية			
الطيبة	أم الفحم	قلقيلية	شفاعمر
برقة نابلس	باقة الشرقية	عرابة البطوف	بيت أمر
سخنين	طمرة	دالية الكرمل	بعنة
إكسال	طرعان	أبو سنان	أرطاس
بيت أولا الخليل	إذنا الخليل	الرامة	الرينة
بلدة الشيوخ	الفريديس	اللقية النقب	بلدة المشهد
بلدة المغار	باقة الغربية	بدية	برقين
بلاطة نابلس	بلعا طولكرم	بني نعيم	بورين
بيت ساحور	بيت فجار	بيتونيا	بير زيت
ترقونيا	ترمسعيا	تل السبع	جسر الزرقاء
جلجولية	جماعين	جولس	حلحول الخليل
حوارة نابلس	حوارة النقب	دبورية	دير إستيا
دير الأسد	دير حنا	سعير الخليل	سلواد
سنجل	شعب	شعفاط	سقيف سلام
شويكة	صوريف	طمون	طوبا الزنجرية
عبسان	عتيل	عزون	عسفيا
عصيرة الشمالية	عقرباء نابلس	عنبتا	عورتا نابلس

عين ماهل	قبلان النابلسية	قفين	كفر الديك
كفر ثلث	كفر قاسم	كفر قدوم	كفر قرع
كفر كًنا	كفر ياسيف	مجدالكروم	ميثلون
نعلين	عيلبون	كفر راعي	جديدة عكا والمكر
بيت جالا	بيت حنون	بيت حنينا	بيت عمر التحتا
خان يونس	دير البلح	دير دبوان	دير غساني بيت ريما
سلفيت	سيلة الحارثية	سيلة الظهر	طوباس
عارة وعرعرة	عرابة جنين	عرعرة النقب	علار طولكرم
كابول	كفر مندا	بلدة السموع	بني سهيلا
بيت لاهيا	جباليا	دورا الخليل	راهط
رفح	سلوان	طيرة المثلث	قلنسوة
كسيفة	يعبد	يافا الناصرة	يطا